

مجلة الكلمة الطبية

العدد الثاني عشر

كلمة الكلمة

وزن الكلمة

يحيط الإنسان أحياناً نفسه بهالة من الغموض، ويختفي خلف جدران يصطنعها، ويعتقد أنها تستره عن عالم الواقع، فيظل يعيش أحلام اليقظة تارة، أو يوغل في عالم التصورات الخيالية تارة أخرى فيتيه فكره وتتبعثر ذاكرته، فتنتشل الكلمة من هذه العوالم وتعيده إلى عالمه الحقيقي، (فالمرء مخبوء تحت طي لسانه) كما يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فالكلمة هي مفتاح سرّ الإنسان لأنها ترجمان مكنوناته، والتعبير الأقوى عن جوهره، وربما كانت سبباً في إنهاء حياته، أو إعادته الحياة إلى كيانه.

والكلمة هي شعار للحق، وقد يستعملها المبطلون كشعار للباطل، وهي ميزان الحق.. إذا تطابق فعل الإنسان مع عمله. ومن هنا يكون وزن الكلمة الصادقة والكلمة الطيبة، في مدى فاعليتها في نفس المتلقي، وصداها على سمعه، وتأثيرها في قلبه. ونحن في موقع الإمام الشيرازي (دام ظله) وفي مجلة الكلمة الطيبة وبعد مرور عامين على افتتاح هذا الموقع المبارك، لا يسعنا إلا أن نعطي شأن الكلمة الحرّة والملتزمة، عبر المقالة النافعة والمحاضرة الإسلامية الواعية، والدرس الأخلاقي المفيد، والكتاب الإسلامي المتخصص.. ونبذل قصارى جهدنا للوصول إلى رضا الله تعالى ورضا زوار موقعنا الكرام، كما ونكرّر دعوتنا إلى الأخوة القراء إلى ضرورة رفقنا بالمقترحات والمشاركات الهادفة ضمن البرنامج العام للموقع والمجلة ومنتدى الحوار الذي سيفتح قريباً إن شاء الله.

كما وتعتزم المجلة إنشاء باب جديد لمساهمات القراء حيث يأخذ الصالح منها طريقه إلى النشر. ومن الجدير بالذكر أن الاهتمام بدراسة القوانين الإسلامية هو أحد الأعمدة الرئيسية التي نركّز عليها حرصاً منا على اعتماد النهج الإسلامي السليم والذي أكّد عليه سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) واعتبر دراسة القوانين الإسلامية والعودة إليها هي من جوهر الدعوة إلى الإسلام ونشره، وإعادته إلى الحياة من جديد، ولا شك فإن هذا الهدف السامي هو ديدن كل مؤمن مخلص، وضع مصلحة الإسلام نصب عينيه، وجعل من قضية تطبيق قوانينه من أولويات مهامه في هذه الأرض.

واليوم وبعد هذا التطور المذهل في عملية النشر بكل أنواعه، والتطور المعلوماتي والاتصالي الذي لا يفتقر، لابدّ للمسلمين من كلمة في هذا العالم الصغير جداً والذي أصبح يتبادل الهمسات على بعد مئات الآلاف من الكيلومترات أو يزيد، وهنا بيت القصيد في هذا المطلب الملحّ، وهو كيف يكون شكل هذه الكلمة التي يبتغيها المسلم في زمن تضيق فيه الكتب والمجلدات والموسوعات؟

ولسنا نمتلك جواباً يعطو على قول علمائنا في هذا المضمار، فهم القدوة والمرشدون إلى جادة الصواب وخير مثال لهؤلاء العلماء الأعلام هو المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) الذي طالب بثلاثة مليارات من

الكتب، في كل المجالات، لتبليغ الرسالة الإسلامية، وقد عرف عن سماحته هذا الإصرار على التأليف منذ نعومة أظفاره، فكان نادرة في التأليف كما يُعرف عنه الآن.

هذا هو الجواب على هذه الإشكالية، فلو شرع كل عالم بتأليف مجموعة من الكتب التي تخص الحياة المعاصرة، وطرح القانون والرأي الإسلامي فيها، وكذلك فعل مثقفو وكتّاب الأمة في الموضوعات المختلفة لإبراز حقيقة الإسلام والمسلمين للعالم ولتكون لهم مساحة معينة على خارطة العالم الجديد، ولتكون كلمة الله هي العليا، ولنا معكم لقاء بإذن الله.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر ربيع الثاني

اليوم السنة(هـ) المناسبة

٤ ٢٣٢ هـ ولادة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)

يصادف في مثل هذا اليوم ولادة الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) في المدينة المنورة والمشهور أن ولادته يوم الثامن من هذا الشهر، وقد كانت مدة إمامته (عليه السلام) أقل من ٧ سنين. ويستحب زيارته في هذا اليوم وفي كل يوم خميس لأنه يومه (عليه السلام).

٥ ٢٤٨ هـ وفاة المنتصر بالله

ذكر المسعودي أن المنتصر تقدم بالكف عن آل أبي طالب وترك البحث عن أخبارهم، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة لقبر الحسين (عليه السلام) وأمر برد فدك إلى ولد الحسن والحسين، وقد توفي المنتصر في مثل هذا اليوم.

٨ ٣٥٧ هـ وفاة أبي فراس الحمداني

كان أبو فراس مشهوراً بالأدب والفضل والكمال والشجاعة والفصاحة وعذوبة الشعر. ومن قصائده (الميمية) التي قالها في مظلومية أهل البيت، وظلم بني العباس وهي المعروفة بالشافية..

٩ ٦٦٣ هـ وفاة هولكو

وقد توفي في مثل هذا اليوم هولكو ابن تولي خان بن جنكيزخان.

١٠ ٣٠١ هـ وفاة السيدة معصومة (عليها السلام)

يصادف في مثل هذا اليوم شهادة السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) وقبرها موجود في مدينة قم إحدى مدن إيران المقدسة.

١٢ ١ هـ إضافة الصلوات

وفي مثل هذا اليوم وبعد شهر من هجرة الرسول (صلى الله عليه وآله) أضيفت ركعات إلى الصلاة اليومية، فبعد أن كانت الصلوات الخمسة تقتصر على ركعتين في السفر والحضر. أضاف رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تبارك وتعالى سبع ركعات أخرى في الحضر، فالصلاة كلها في السفر الفريضة ركعتان كل صلاة إلا المغرب فاتها ثلاث ركعات ليس فيها تقصير وأنه تركها رسول الله (صلى الله عليه وآله) في السفر والحضر ثلاث ركعات.

١٣ ٢١٨ هـ وفاة ابن هشام

وفي هذا اليوم توفي ابن هشام صاحب السيرة النبوية والتي عرفت باسم (سيرة ابن هشام).

مفاهيم إسلامية

الفطرة هي التوحيد في الإسلام

عقيل الرماحي

الفطرة ومعناها الشق ابتداءً يقولون: أنا فطرت هذا الشيء أي أنا ابتدأته. وفي قول الله تعالى: (الحمد لله فاطر السموات والأرض..)(١)، يريد خالق السماوات والأرض على الابتداء والاستقبال.

ومعنى الفطرة في قوله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) (٢) هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد قال: ألسنتُ بربكم وفيه المؤمن والكافر (٣).

وقيل أيضاً هي التوحيد ومحمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين (٤).

وسئل الإمام الباقر عن قول الله عز وجل في كتابه: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قال: فطرهم عند التوحيد على الميثاق على معرفته أنه ربهم، قلت: وخاطبوه، فطأ رأسه ثم قال: (لولا ذلك لم يعلموا من ربهم ولا من رازقهم) (٥).

قال المفيد: فطرة الله التي فطر الناس عليها يعني خلقته التي خلق الناس عليها وهو معنى قول الصادق (عليه السلام): (فطر الله الخلق على التوحيد، أي خلقهم للتوحيد وعلى أن يوحدوه وليس المراد به أنه أراد منهم التوحيد، ولو كان الأمر كذلك ما كان مخلوق إلا موحداً وفي وجودنا من المخلوقين من لا يوحد الله تعالى دليل على أنه لم يخلق التوحيد في الخلق، بل خلقهم ليكتسبوا التوحيد).

لقد قال الله تعالى في شاهد ما ذكرناه: (وما خلقت الجن والإانس إلا ليعبدون) فبين أنما خلقهم لعبادته.

عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عز وجل (حنفاء لله غير مشركين به) وعن الحنفية فقال: (هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال (فطرهم الله على المعرفة). قال زرارة: وسألته عن قول الله عز وجل (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم) الاعراف، ١٧٢. قال: (أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم صنعه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه، وقال: قال

١ - سورة فاطر: ١.

٢ - سورة الروم: ٣٠.

٣ - التوحيد للصدوق، ٣٢٩، ح ٣. (عن الإمام الصادق (عليه السلام)).

٤ - التوحيد، ٣٣٠، ح ٧. (عن الإمام الصادق (عليه السلام)).

٥ - التوحيد، ٣٣٠، ح ٨.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل مولود يولد على الفطرة - يعني على المعرفة بأن الله عز وجل خالقه - فذلك قوله: (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) (١) سورة لقمان: ٢٥. وقالوا: الفطرة هي ما يقتضيه الشيء لو خلّي ونفسه وبدون مانع فإذا قيل: (الصدق فطري في البشر) معناه أن الإنسان لو خلّي ونفسه فإن حالته الفطرية تقتضي أن يصدق كلامه، وهذه الفطرة قد تدوم فيه كما هو الغالب، وقد تزول عنه بمانع فيلتجئ إلى الكذب، كما أن القائل بسقوط الحجر إلى الأرض طبيعي معناه أن الحجر المتحرك حول الأرض لو خلّي ونفسه فحكمه السقوط على الأرض وهذا لا يمنع أن يتخلف عن طبيعته لعارض وبسبب قاصر. وعليه فكون دين الإسلام فطرياً في البشر لا ينافي وجود سبب عارض يقسره يوماً على مخالفة الفطرة، وبعبارة أخرى الفطرة اقتضاء لا ضرورة) كما يصرح بذلك الحديث النبوي: (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه).

وأما معنى فطرية دين الإسلام فالراجح أنه بعنوان المجموعي، أي أن الإسلام إذا قيس إلى أي دين آخر كان هو دين الفطرة دون غيره كما أشار إليه الحديث النبوي المتقدم. وما هو ما يظهر أن حقيقة الإسلام هو أن يسلم المرء أمره إلى خالقه وأن يسالم المخلوقين، وهل هذا إلا قضية الفطرة.

قال سبحانه: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن) سورة النساء: ١٢٥. أي المسلم لله والمسالم لعباده.

وقال نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله): (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه). ثم أن الإسلام بني على توحيد الله في ذاته وصفاته وتوحيده في عبادته وعبادته، وهل هذا إلا الفطرة، وأسس شرعه على العدل والإحسان والفضيلة والمحبة، وكلها أحكام الفطرة. فالإسلام بهذا دين الفطرة وشرع الحقيقة، وهذا المعنى هو دين الله الحقيقي وهو أقدم شرائع البشر من عهد إبراهيم (عليه السلام) والذين من قبله، والقرآن يقول في إبراهيم (عليه السلام) أنه: (كان حنيفاً مسلماً) سورة آل عمران: ٦٨، أي متديناً بالدين الأصلي، أعني به إسلام الفرد نفسه لربه ومسالمته مع عباده (٢).

فطرة إبراهيم (عليه السلام)

قال الله تعالى في كتابه العزيز: (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) البقرة: ١٣٥. وقال سبحانه وتعالى: (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين) آل عمران: ١٦٧.

وقال أيضاً: (قل إني هدايتي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) الأنعام: ١٦١.

وقال: (إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين) النحل: ١٢٠.

١ - التوحيد، ٣٣١، ح ٩.

٢ - مجلة المرشد، ٢٦م-٢٧.

و(ثمّ أوحينا إليك أن اتّبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) النحل، ١٢٣.
والحنفية كما يقول الإمام الباقر (عليه السلام) هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وفطرة الله هي الإسلام، كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام).

في قصة خليل الله إبراهيم (عليه السلام) ما يضعنا أمام مشاهد لمعركة حاسمة بين الفطرة السليمة التي يمثلها إبراهيم (عليه السلام) والفطرة المنحرفة التي كان يمثلها قومه الذين أجمعوا على عبادة الأوثان والأصنام حتى أشربت بها قلوبهم، وألفتها عقولهم، وركنت إليها نفوسهم. يقول الله تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أنتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لنن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالّين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) الأنعام: ٧٤-٧٩.

وعلى الرغم من أن إبراهيم (عليه السلام) كان يعيش وسط بيئة سرت الأصنام والأوثان في عبادتها، يسجدون لها ويتوسلون بها ويتقربون إليها، إلا أنه ظل محصناً يأبى السجود لتلك الأصنام ويرفض عبادتها. وعلى الرغم من الضغوط التي كانت تمارس عليه من قبل أبيه وزعماء قومه إلا أنه بقي صامداً أمام تلك الضغوط، ولم يكتف بذلك الامتناع عن مشاركة قومه فيما هم فيه بل اتجه إلى تسفيه أحلام قومه ويعيب عليهم الجمود الفكري وتحجّر العقل ويزري بقلوبهم الميتة وتفكيرهم السقيم.

وبمحاذاة تلك المعركة القائمة بين الإيمان والكفر، والتوحيد والشرك فإن معركة أخرى محتدمة بين المؤمنين أنفسهم، معركة فكرية مستمرة لم تحسم بعد وذلك لتباين العقول وتعدد المدارس الفكرية. فالبعض يرى أن التوحيد يمر عبر بوابة الشرك، ويتصور الكفر قنطرة إلى الإيمان، وأن لا بدّ لليقين أن يمر في نفق الشرك، ويستوي في ذلك الأنبياء والأولياء وغيرهم من البشر، بل يسوون بين الداعين إلى الله والمدعوين إليه.

أصحاب هذه المدرسة وهم يقلّبون النظر في تلك الآيات نجدهم يتصورون أن إبراهيم (عليه السلام) إنما كان ضائعاً ضالاً لم يهتد إلى إلهه الذي خلقه رغم فطرته السليمة والصادقة والتي تنكر الأصنام وعبادة قومه لها، إلا أن فطرته السليمة وبصيرته المفتوحة تؤهّله عند الله ليريه ملكوت السماوات والأرض ويطلعه على الأسرار الكامنة في صميم الكون ويكشف له الآيات الماثلة بين طيات الوجود.

إنها صورة لنفس إبراهيم وقد ساورها الشك بل الإنكار لما يعبدّه أبناء قومه من الأصنام، وحين يستيقن حقيقة الإله الذي يستحق العبادة نراه ينطلق من الساكن إلى المتحرك، ومن القريب إلى البعيد، من الأرضي إلى السماوي ومن ما هو على الأرض من حجر جامد إلى السماوات حيث الكواكب فيتنقل بقلبه من الأكبر فالأكبر، وبطمأنينته من الكوكب الصغير اللامع إلى القمر الطالع ثم إلى الشمس وهي تبزغ وتسطع.

وحين يشعر إبراهيم (عليه السلام) أنه مضيع ضال إن لم يدركه ربه ويهديه تنطلق الشرارة وينبثق النور فيجد ربه في قلبه وفي كيانه لا فيما تبصره عيناه وتدركه حواسّه، عند ذلك يطمئن قلبه إلى يقينه الجديد ويركن إلى الاتجاه الجديد بدون تردد.

ويرى فريق آخر أن التوحيد فطرة الله التي فطر الناس عليها، وما دامت تلك الفطرة سليمة فإنها تصل بصاحبها إلى التوحيد مباشرة دون أن تخالطه ذرة شرك أو تخالجه خاطرة شك، أو تداخله لحظة كفر وهذا هو طريق الأنبياء والأوصياء.

وإذا ما انحرفت الفطرة عن مسارها الصحيح احتاجت إلى من يقوم اعوجاجها ويصح مسارها وتلك وظيفة الأنبياء والرسل، فيعيدونها من الشك إلى اليقين، ومن الكفر إلى الإيمان، ويأخذون بأيديهم إلى جادة الصواب، ويخرجونهم من نفق عبادة الأوثان وظلماته إلى ساحة الرحمن وعبادته، وذلك هو الفارق بين الأنبياء والأولياء وبين غيرهم من البشر.

إنها صورة مغايرة تماماً للصورة الأولى التي يراها أصحاب المدرسة الأولى، فما أن يشب إبراهيم ويستجمع شرائط التكليف حتى يطلب إليه أبوه آزر وقومه أن يعبد الأصنام التي يعبدون إلا أنه سرعان ما تنكشف لقومه حقيقة الفتى حين يرفض أصنامهم ويأبى السجود لها وعبادتها بل ويعيب عقولهم التي سوغت لهم تلك المسالك، وقلوبهم التي طاوعتهم عليها وزينتها في نفوسهم ويرميهم بالضلال والانحراف عن الصراط المستقيم ثم يدعوهم بعد ذلك إلى ما هو عليه من عبادة الله الذي خلقهم ورزقهم من الطيبات وحين لم يمثلوا لأمره ويستجيبوا لدعوته راح يفكر في حجة يقطع بها جدالهم ويكشف بها زيف باطلهم.

وعندما علم إبراهيم (عليه السلام) أنه إن جاءهم بما لا يعلمون واستمر في مخاطبتهم بما ينكرون فلن يستجيبوا لدعوته ولن ينقادوا لنصحه ولن يهتدوا بهديه عند ذلك ألهمه الله سبحانه وتعالى أن ينطلق بهم من الأفكار التي يفهمون والمنطلقات النظرية التي يستسيغون، فمن الحكمة مخاطبة الناس على قدر عقولهم، وهكذا أراه الله ملكوت السماوات والأرض ليكون من المؤمنين ولتكون الحجة قاطعة مانعة تدفع كل ذي قلب ولب، وفي قومه من يعبد القمر ومن يعبد الشمس فانطلق يجاريهم بلسانه دون قلبه فيما يعتقدون ويسايرهم فيما يظنون وكأنه واحد منهم، وإذا ما رأى منهم الاستماع راح يظهر لهم فساد رأيهم وبطلان قولهم، حيث وجد وبهداية من ربه أنه الاحتجاج الأصلح لإسماع الحجة وأمنع لثوران العصبية وأنفع لاستجابة الخصم.

إن إبراهيم (عليه السلام) على علم بحقيقة الأمر منذ البداية ولذلك تراه يخاطب أباه جازماً مستيقناً بصواب عقيدته حيث يقول: (يا أبت إني قد جاعني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً) مريم: ٤٣.

إن إبراهيم (عليه السلام) وهو يشنّ على أبيه وقومه ويعيب عليهم سجودهم للأصنام ما كان ليقدم على ذلك العمل غير المألوف لدى قومه إلا إذا كان نبياً أو على الأقل مهتدياً إلى الحق متيقناً به عن طريق الفطرة.

وإبراهيم (عليه السلام) وبعد تلك الجولة في ملكوت السماوات والأرض لم يقل: لقد آمنت، أو علمت، أو تيقنت الآن أنه لا إله إلا الله، لأنه كان مؤمناً قبل ذلك بنور الفطرة السليمة والميثاق والعلم اللدني من الله تبارك وتعالى.

إيمان الفطرة

كما أن الفطرة هي استعداد غريزي وملكة قلبية لإدراك المطلوب من المخلوق تجاه الخالق على وجه الإجمال واليقين، وهو معرفة الخالق وتوحيده والتوجه إليه بالعبادة، وذلك موهوب من الخالق للمخلوق عند الخلق والفطر.

وأن الإيمان الفطري مبنيٌّ على شهود العيان وألا يحتاج الإنسان إذا ما سلمت فطرته إلى شاهد خارجي، أما إذا انحرفت فطرته بفعل الشك فقد احتاجت إلى دليل عقلي لتثبيت التوحيد وأركان العقيدة.

وإذا ما تقصينا أسباب الصحة الإيمانية الجديدة في العالم اليوم، واعتناق الآلاف من الغربيين الإسلام، والتشّيب المستميت من الأقلية المسلمة بعقيدتها في بعض البلدان، بالرغم من تألب قوى التبشير والإلحاد ضدها، لوجدنا أن الأسباب الرئيسية لذلك، هو أن الإسلام يقدم للإنسان العاقل المفكر، البرهان الذي لا يتعارض مع معطيات المنطق والعلم الصحيح، بل يعزّزها ويرسخ في نفسه بذور إيمان الفطرة التي وضعها فيه خالقه.

كما أن كل دعوة دينية، لا تلتزم طريق العقل والمنطق والعلم، لا تنتج إلا إيماناً تقليدياً، سريع العطب، حتى وإن كانت تلك النصوص السماوية صادقة لم تطلها يد التحريف، إذ لا يقوى أمام قوى الباطل المنظم - والذي يغلب الحق غير المنظم - إلا دعوة دينية قائمة على منهجية علمية منظمة ومستندة إلى الحجة والبرهان والدليل، وكلها موجودة في النصوص السماوية التي لا تكون كذلك إلا إذا لم تتعارض مع كل منطق سليم وعلم ثابت صحيح.

إن الإنسان بطبيعته مفطور على الإيمان - بما أودع الله سبحانه فيه من عقل مفكر يهديه إلى البرهان الذي يتلاءم مع مستوى علمه ومنطقه - أن له رباً هو الذي خلقه وهو يرزقه ولذا تجب طاعته وعبادته من بين ملايين الأدلة والبراهين في هذا الكون، وما حواه من مخلوقات من أصغر جسيم في الذرة إلى أكبر حجرة، مروراً بعالم النبات والحيوان، كلها تشهد بوحدانية الله وعظمته. يقول الله تعالى (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) الأعراف: ١٧٢. (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) الزخرف: ٩.

إن كل إنسان مهما كان ملحداً لا يستطيع أن يسكت في ذاته صوت فطرته الذي يدعوه إلى الإيمان بالله، فعندما يخلو بنفسه، أو من خلال زلات لسانه يعترف بأن له خالقاً فطر السموات والأرض، إلا أن المكابرة والغرور وحب المجادلة وخوف الالتزام بتعاليم الدين التي تتعارض مع نفسه الأمانة بالسوء تجعله يتجاهل ويسكت صوت فطرته.

إن الرحمة الإلهية وإقامة للحجة على الإنسان أنزلت الكتب والرسالات السماوية التي تساعد على الانتقال به من إيمان الفطرة إلى إيمان البرهان هذا إذا أراد ذلك.

وليس الإنسان وحده المفطور على الإيمان بخالقه بل الجماد والنبات والحيوان كذلك، وقد بدأ العلم ومنذ سنوات وبالوسائل العلمية يكتشف شيئاً من لغات الحيوانات وطرق تخاطبها، كما تبين أن للنبات شعوراً وأحاسيس وربما لغة خاصة كالحیوان، يقول الله تعالى: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) الإسراء: ٤٤، فمعنى التسبيح هنا الدلالة على توحيد الله وعدله وأنه لا شريك له في الإلهية وجرى ذلك مجرى التسبيح باللفظ وربما يكون التسبيح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدي إلى العلم، (وإن من شيء إلا يسبح بحمده)، أي ليس من الموجودات إلا ويسبح بحمد الله تعالى من جهة خلقته، إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غني بنفسه عن كل شيء سواه ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدثات. وقيل: أن كل شيء على العموم من الوحوش والطيور والجمادات يسبح لله تعالى حتى

صريح الباب وخير الماء. (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده (١).

هل يكفي إيمان الفطرة؟

لو كان إيمان الفطرة يكفي الإنسان، لما أنزلت الكتب السماوية وأرسلت الرسل والأنبياء، وبالتالي فلا بد من دليل إيماني لا يرقى إليه الشك فعبارة اركع على ركبتك واغمض عينك وأمن بقلبك) كما قال باسكال لا تكفي عند الإنسان لإقناعه، وكيف يقتنع وهو الأكثر جدلاً بتعريف خالقه (وكان الإنسان أكثر جدلاً) ولذلك أيد الله أنبياءه ورسله بالإضافة إلى المعجزات بعلم لدني هو بالنسبة لهم قبل غيرهم، ونعني البرهان والدليل الذي يثبتهم في إيمانهم الفطري ويساعدهم على تبليغ الرسالة وتحمل أعبائها.

فظلت فطرة النبي يوسف (عليه السلام) تدفعه إلى نبذ السوء كما يحدث القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى: (لولا أن رأى برهان ربه) المتمثل في خلق السماوات والأرض فيقول بعد ذلك: (ربّ قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السمّوات والأرض أنت وليّ في الدنّيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصّالحين) يوسف: ١٠١.

والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ثبت فؤاده بما علمه من علم الكتاب والحكمة وما لم يكن يعلم: (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلّوك وما يضلّون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً) النساء: ١١٣.

لقد اختتمت الرسالات السماوية، بالبرهان اليقيني والمعجزة الوحيدة الباقية إلى يوم الدين، ذلك هو القرآن الكريم الذي لا يستطيع أن يشك به أي عاقل، ومنه يستقي كل إنسان برهانه الإيماني على وجود الله وصدق التنزيل، ومن الضروري أن يكون لكل مسلم برهانه الإيماني الذي ينقله من إيمان الفطرة إلى إيمان الدليل، فكل إنسان مهما بلغت درجة الإيمان عنده لا بدّ وأن يمر بلحظات يتزعزع فيها الإيمان ويشك بالمعجزات، ولكي يبقى بعيداً عن عوامل الشك لا بدّ من دليل ثابت يراه مثلاً أمام عقله ومنطقه في كل ثانية على وجود الله، وهذا الدليل يجده كل من أراد - وحسب درجته العقلية والعلمية - في كتاب الله عز وجل القرآن الكريم، وكتاب الله المخلوق في الكون وما حواه التي تدل على عظمة خلقه سبحانه وتعالى.

كلمة أخيرة

بعد كل هذا: نقول من يتحمل مسؤولية وجود المنحرفين عن فطرتهم الأولى التي فطرهم الله عليها والذين قد يكونون طغاة وقتلة محترفين ودعاة أفكار منحرفة في المجتمع؟

يجيب الحديث النبوي الشريف قائلاً: (كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه وينصرانه). كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (لا تضربوا أطفالكم على بكاءهم فإن بكائهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي وآله، وأربعة أشهر الدعاء لوالديهم).

إن الرجاء أن يكون لنا أبناء صالحين لا يتم إلا من خلال إذكاء تلك الفطرة التي فطرهم الله عليها والوقوف بحزم أمام الأفكار المنحرفة التي تبعدهم عن جادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن علياً أمير المؤمنين.

شاعر وقصيدة

ابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٣هـ)

مفخرة من مفاخر الشيعة

فائق محمد حسين

ولد أبو الحسن علي بن عباس بن جريح البغدادي، الشهير بابن الرومي في بغداد من أب رومي وأم فارسية، في الثاني من شهر رجب عام ٢٢١ هـ المصادف لـ ٨٦٣ م.

نشأ ابن الرومي في بيت علم وأدب، فاستهواه الشعر، وكان أبوه صديقاً لبعض العلماء والأدباء، منهم (محمد بن حبيب) الراوية الضليع في اللغة والأنساب، فكان الشاعر يختلف إليه لهذه الصداقة وكان محمد الراوية يخصّه لما يراه من ذكائه وحدة ذهنه. وله هذه الأبيات يظهر فيها ولاءه وحبّه لعلي (عليه السلام):

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى	عشق النساء ديانة وتحرجا
لكن حبي للوصي مخيم	في الصدر يسرح في الفؤاد تولجا
فهو السراج المستنير ومن به	سبب النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبة لم أجد	يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أترك مستقيم طريقه	جهلاً وأتبع الطريق الأعوجا؟!
وأراه كالتبر المصفى جوهراً	وأرى سواه لناقديه مبهرجا
ومحلّه من كل فضل بين	عال محلّ الشمس أو بدر الدجا
قال النبي له مقالاً لم يكن	يوم (الغدير) لسامعيه مجمجا:
من كنت مولاه فذا مولى له	مثلي وأصبح بالفخار متوجا
وكذاك إذ منع البتول جماعة	خطبوا وأكرمه بها إذ زوجا
وله عجائب يوم سار بجيشه	يبغي لقصر النهروان المخرجا
ردّت عليه الشمس بعد غروبها	بيضاء تلمع وقدة وتأججا

فبهذه القصيدة البديعة صرّح ابن الرومي عن هويته وأثبت مقدرته الشعرية العالية... ولفت الأنظار إليه باعتباره أحد عباقرة الأمة، وأعظم شعراء الدولة العباسية.

ولا شك أن تراثه اليوناني الفارسي أثر في عبقريته، فجاء بشعر ذهبي كثير، طافح برونق البلاغة، أربى على سبائك التبر حسناً وبهاءً، وعلى كثر النجوم عدداً ونوراً.

نال ابن الرومي ثقافة عالية ونشأ على نصيب وافر من علوم عصره وساهم في القديم والحديث منها بقسط وافر في شعره وتعاطى الفلسفة فسرت في أسلوبه وتفكيره، كما ألمّ بالقياس المنطقي وعلم النجوم.

لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطل ساعة يولد
 وإلا فما يبكيه منها وأنـها لأرحب مما كان فيه وأرغـد؟
 ولقد فُجع ابن الرومي في ثلاثة من أولاده، وكان أسبقهم إلى القبر أوسطهم (محمد)، فرثاه بدالية مشهورة يقول فيها:

توخى حمام الموت أوسط صبيتي فله كيف اختار واسطة العقد؟!
 علي حين شمت الخير في لمحاته وآتست من أفعاله آية الرشد
 لقد قلَّ بين المهد واللحد لبثـه فلم ينس عهد المهد أو ضمَّ في اللحد
 وظلَّ على الأيدي تساقط نفسه ويذوي كما يذوي القضيـب من الرند
 محمد؟ ما شيء توهـم سلوة لقلبي إلا زاد قلبي من الوجد
 أرى أخويك الباقيين كليهما يكونان للأحزان أورى من الزند
 إذا لعبا في ملعب لك لذعا فوادي بمثل النار عن غير ما عمد
 فما فيهما لي سلوة بل حـزاة يهيجانها دوني وأشقى بها وحدي
 برع ابن الرومي في المديح والوصف والغزل من فنون الشعر (فقصر عن مداه الطامحون، وشخصت إليه الأبصار، فجلَّ عن النـد كما قصر عن مزاياه العد)

وشارك في البلاغة المنثورة وبان حذقه في الكتابة من خلال رسائله العديدة إلى أصدقائه ومعارفه.
 ألم تجدوني آل وهب لمدحكم بشعري ونثري أخطلاً ثم جاحظاً
 لم يكتف بهذا البيت لتبيان مهارته كأحد البلغاء الكتاب وألمع الشعراء.. وإنما يتعدها ليقول عن نفسه:
 ونحن معاشر الشعراء تنمى إلى نسب من الكتاب دان
 وإن كانوا أحق بكل فضل وأبلغ باللسان وبالبيان
 أبونا عند نسبتنا أبـوهم عطارـد السماوي المكان
 وهو على حق في كل ما يقول. إذ أبحر في اللغة وأحاط بغريب مفرداتها وأوزان اشتقاقها وتصريفها وموقع أمثالها وأسماء مشاهرها وما يصحب ذلك من أحكام في الدين ومقتبسات من آداب القرآن، كما اكتسب خبرة واسعة في الأنساب والأخبار، ويعود سبب ذلك لتميـزه بفطنة متوقدة الفهم وذاكرة سريعة الحفظ.
 وكغيره من فطاحل الشعراء الذين بايعوا آل البيت (عليهم السلام) وساروا على نهجهم تعرض للكثير من التهم والافتراءات، غير أنه لم يبال.

فله في مودة ذوي القربى من آل البيت (عليهم السلام) أشواط بعيدة، واختصاصه بهم ومدانحه لهم ودفاعه عنهم من أظهر الحقائق الجليلة وما هو بهذه القصيدة الجميلة يظهر تشيعه وينفي كل ما أشيع عنه من الأعداء والحاقدين.

أجنوا بني العباس من شأنكم وأوكوا على ما في العياب وأشـرجوا
 وخلوا ولادة السوء منكم وغـيهم فأحرى بهم أن يغرقوا حيث لجوا
 نظار لكم أن يرجع الحق راجع إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
 على حين لا عذري لمعتذريكم ولا لكم من حجة الله مخرج

فلا تلحقوا الآن الضغايين بينكم	وبينهم إن اللواقح تنتج
غررتم لنن صدقتم أن حالة	تدوم لكم والدرهم لوان أخرج
لعل لهم في منطوى الغيب ثائراً	سيسمو لكم والصباح في الليل مولج

ومع اشتداد الصراع بينه وبين بني العباس وجلوزتهم ينبري ابن الرومي للتصريح بمذهبه ويبدى شجاعة كبيرة في إظهار موالاته للعلويين وتمنياته بهلاك أعدائهم ويلوم نفسه على التقصير في بذل دمه لنصرتهم:

إن يوالي الدهر أعداء لكم	فلهم فيه كمين قد كمن
خلعوا فيه عذار المعتدي	وغدوا بين اعتراض وأرن
فاصبروا يهلكهم الله لكم	مثل ما أهلك أذواء اليمن
قرب النصر فلا تستبطنوا	قرب النصر يقيناً غير ظن
ومن التقصير صوني مهجتي	فعل من أضحى إلى الدنيا ركن
لا دمي يسفك في نصرتمكم	لا ولا عرضي فيكم يمتهن
غير أنني بأذل نفسي وإن	حقن الله دمي فيما حقن
ليت إنني غرض من دونكم	ذاك أو درع يقيكم ومجن
أتلقي بجبينني من رمي	وبنحري وبصدري من طعن
إن مبتاع الرضى من ربه	فيكم بالنفس لا يخشى الغبن

وكان ابن الرومي على ثقة كبيرة من أصدقائه الخالص لذا فهو يكشفهم بما في صدره ويستعين بهم على تفريغ غمته، عندما تضيق به الأمور:

ويدمج أسباب المودة بيننا	مودتنا الأبرار من آل هاشم
وإخلاصنا التوحيد لله وحده	وتدبيرنا عن دينه في المقاوم
بمعرفة لا يقرع الشك بابها	ولا طعن ذي طعن عليها بهاجم
وأعمالنا للتفكير في كل شبهة	بها حجة تعيي دهاة التراجع
يببت كلاتنا في رضى الله ماحضاً	لحجة صرداً كثير الهمام

وعرف ابن الرومي بأنه شاعر هجاء لكل الذين ناصبوه العداء واتهموه. ولقد خلدت قصائده في الهجاء وتداولها الناس، مما سبب له الكثير من العداوات، غير أنه في نهاية المطاف أحسّ بالندم واعتزم التوبة عن الهجاء مقسماً:

آليت لا أهجو طوال	الدهر إلا من هجاني
لا بل سأطرح الهجاء	وإن رماني من رماني
أمن الخلايق كلهم	فليأخذوا مني أماني
حلمي أعز علي من	غضبي إذا غضبي عراني
أولى بجهلي بعد ما	مكنت حلمي من عناني

إلا أن توبته المعلنة لم تجد صداها عند أذان الوزير القاسم بن وهب، وزير المعتضد، والذي كان يخاف من لسان ابن الرومي وفلتاته... ويقول: (إن لسانه أطول من عقله ومن كانت صورته هذه فلا تؤمن عقاربه عند

أول عتب ولا يفكر في عاقبته، وأخشى أن يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا..). لذلك أمر بقتله... فـدسّ إليه (ابن فراس) فأطعمه أكلة مسمومة توفي على أثرها.

وكانت وفاته يوم الأربعاء في ٢٨ جمادي الأول ٢٨٣ هـ، ٨٩٦ م ودفن في مقبرة باب البستان ببغداد.

ركن الأسرة

مشكلات المراهقة لدى الإناث

تشخيص وعلاج

الدكتور سعد الأمانة

المقدمة

تعتبر مرحلة المراهقة هي المرحلة العمرية التي تتوسط بين الطفولة واكتمال النضج عند الأنثى (بداية الحيض) والبلوغ عند الذكر، ويصاحب بدايتها عادة بالبلوغ الجنسي الذي يتفاوت فيه الأفراد تفاوتاً واسعاً، ليصل في الأحوال العادية إلى نحو خمس سنوات بين أول المبكرين وآخر المتأخرين، وهي من أهم مراحل النمو في حياة الإنسان (١).

ولكن هناك فروق فردية بين الأفراد في التأثر بها إلى درجة كبيرة، والبعض الآخر تمرّ عليه دون أن تترك لديه آثاراً قوية، فالنفس الإنسانية في تكوينها وبنائها لها خصوصية التنوع والتفرد... فما يؤثر بشخص ما، ربما لا يتأثر به الآخر، حتى وإن كانا أخوين من نفس الأسرة الواحدة. فالمراهقة مرحلة تترك آثارها الإيجابية والسلبية، فإذا أحسن التعامل معها، فإنها تمرّ بسلام.. وسنحاول في هذا الموضوع أن نستعرض بعض المشكلات التي تتضخم لدى الإناث دون الذكور في مرحلة المراهقة..

إن البلوغ عند الإناث يعني انتهاء مرحلة الطفولة المتأخرة، وبالتالي ضرورة معاملتها معاملة تشعرها بالمسؤولية وبشكل تدريجي.. كما يحصل في الفطام الناجح في مراحل عمر الطفل الأولى... لكي لا تترك آثاراً ومترقات أول مواجهة فاشلة مع متطلبات الحياة.. وضرورة أن تقوم الأم بدور الصديقة بحيث تفهم ابنتها المراهقة في البيت، وتشعرها بأنها أقرب لها من أية صديقة أخرى، وتستمع لها وتفهم مشكلتها التي نتجت بفعل هذا التغير الفسيولوجي المفاجئ.. وما صاحبه من نمو نفسي ونضج عقلي..

فالتغيرات الفسيولوجية يمكن إدراك آثارها بسهولة، أما النمو النفسي والنضج العقلي فمن الصعوبة الإحساس به إلا من خلال بعض الحالات السلوكية الصادرة من الفتاة نفسها.. فهي تظل تتخبط بين طفولة الأمس وبراعتها، ونضج اليوم والأدوار المترتبة عليه.. فالأم هي صمام الأمان بالنسبة للبنات.. تشاركها الرأي،

١ - تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلوي، مكتبة التوبة، الرياض (١٩٩٤)، ص ١٨

وتفتتحها بشكل هادئ، ولا تجعلها تنسحب إلى ذاتها دون حلّ للمشكلة التي تواجهها.. فمن الناحية الشخصية تبرز مشكلة الاعتداد بالرأي والتصلّب له، وعدم إعارة الأهمية للآخرين... وبإمكان الأم أن تخفض من حدّتها من خلال فهم ما يجري.. ثم إرشاد البنت ووضع الحدود الحقيقية لذاتها أو نظرتها للآخرين. بعد أن كانت تتحرك بحرية وسهولة مع الأطفال بنفس سنّها، والآن بات عليها أن تتحدّد في حركتها أو مع من تستقبلهم العائلة من الأقرباء أو الضيوف الغرباء... بحيث تشعر بأنّها ما عادت طفلة، ويجب أن تعامل كما كانت سابقاً...

أما أهمّ الأحاسيس التي تظهر على الفتاة بعد النضج فهي:

- الإحساس المفاجئ بالنضج الفسيولوجي (الجسمي) مع نقص النضج النفسي والعقلي.

- الإحساس المفاجئ بالأنوثة..

- الإحساس بقيود الأم والأب ومحاولة التخلص منه.

- الإحساس بالقدرة على إقامة علاقة مع الجنس الآخر (بفعل الإعجاب).

تلك الإحساسيس لم تكن ظاهرة لديها كسلوك تدرّكه وتتعامل معه، إلا أنّها برزت مع النضج الفسيولوجي. لذا يفضل أن تتعامل الأم مع ابنتها خلال هذه المرحلة بكل هدوء، ويكون هذا التعامل مبنياً على تفهم ما يدور بداخلها، وهي حاجة غريزية عند الأم المتفهمة لدورها. وهذه (الأم) لا تحتاج إلى دراية عالية وتفهم واسع في الموضوعات النفسية والتربوية والإرشادية... بقدر ما تحتاج إلى معرفة بسيطة.

السلوكيات الناجمة عن النضج وآثارها المرحلية

أولى مظاهر السلوكيات الناجمة عن النضج الفسيولوجي، وما يتبعها من تغيرات نفسية عقلية، هي مشكلة التغيب عن الدراسة، ثم مشكلة الاهتمام بالجوانب الجمالية في الحياة مثل الاهتمام بالورود والأزهار، والإحساس بالجمال والأشياء المثيرة، وهي دليل عن تعبيرات النمو النفسي، فضلاً عن تأثير الأقران من نفس العمر، أو ممن سبقها في النضج الفسيولوجي.. ويُعرّف (شارلوت سميث) جماعة الأقران، بأنها مجموعة من الأشخاص الذين يُعدّون متساوين من ناحية بعض السمات المميزة كالعمر أو المكانة المهنية. ويشير مصطلح الأقران إلى جماعة تتكون من نفس العمر والاشتراك في خصائص اجتماعية أخرى، وتلعب جماعة الأقران دوراً مهماً في عملية التنشئة الاجتماعية نظراً لأن الأفراد الذين ينتمون إلى هذه الجماعات يكتسبون خبرات جديدة لم يتم اكتسابها عن طريق الأسرة.

ويرى (هنسليين) أن جماعة الأقران تتكون من مجموعة الأفراد في نفس العمر، ولديهم اهتمامات مشتركة. وقد تأخذ شكل جماعات الأصدقاء أو جماعة الجوار (١).

ولا نقول أن جماعة الأقران هم وحدهم المؤثرين على سلوك الفتاة المراهقة، بل يتدخل النزوع الداخلي الذي ينجم عن إحساسها بنفسها، وحالة التهيو النفسي الذي ينشأ من داخلها... فالإمام الشيرازي (دام ظلّه) يرى (أن)

١ - جماعة الأقران ومشكلة التغيب عن الدراسة، طلعت إبراهيم لطفي، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ٦٧،

خريف السنة ٢٠٠٠، ص ١٢.

الشخصية ليست محض انعكاس للمحيط الاجتماعي، بل أمر مزيج من الذاتية والانعكاسات الاجتماعية وأمر آخر، فإن كل هذه الأمور دخيلة في تكوينه الشخصي (١).

إذن يمكننا القول أن التغيرات التي تعصف بحياة الفتاة في مرحلة المراهقة تحكمها البيئة الاجتماعية وعوامل التهيف النفسي، ولا نؤكد على كبت تلك الميول والاتجاهات المتعارضة مع واقع الأسرة الملزمة بقدر ما نوجه الأم لتفهم ظروف البنت المراهقة. وهذا التوجيه النفسي يساعدها على معرفة الخطأ من الصحيح، وليس قمع رغباتها.. ويدلنا قول الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كأحسن مؤشر للتوجيه والإرشاد النفسي عندما قال (عليه السلام): (صيانة المرأة أنعم لحالها وأدوم لجمالها) (٢).

التربية والبناء النفسي

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (يا أيها الناس إن دماؤكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم). هذا ما دعى إليه الرسول حول احترام النفس والعرض (٣) وقول الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بضرورة معرفة مشكلات البنت والولد ومتابعة كافة أمورهم، فهم عماد المجتمع، وعلى الأسرة الناضجة أن تهتم بأمرهم وقوله (عليه السلام): (البنات حسنات، والبنون نعم، فالحسنات يُناب عليهن، والنعمة يُسأل عنها) (٤)، إذا أحسن تربيتهما وتم تقويم سلوكها وفقاً للقيم الإسلامية.. لذا فإن الأسرة وخصوصاً الأم عليها أن تتمتع فيما يلي:

- ١- خلق رؤية واضحة تستمدّها البنت من الإمكانيات المطروحة أمامها في سلوك أمها، وبها تستطيع البنت أن تزيل الغموض الذي يعتريها، وتمنح الثقة والطمأنينة لنفسها.
- ٢- تستطيع الأم أن تحقق التوازن بين العالم الداخلي للفتاة (الحاجات، الدوافع، الصراعات) والعالم الخارجي أو المجتمع بأهدافه وتحدياته.
- ٣- إعطاء الصورة الواضحة عن تساؤلات الفتاة، لأنها بداية لتكوين هوية لها وهذا ما تتدخل الأم في جزء منه.

٤ - إعطاء الصورة المبسطة المتعلقة بنمط الحياة الجنسية الصحيحة، والعاطفية المتلائمة مع المبادئ المعقولة. (هذه النقطة تطرح الكثير من التساؤلات والشكوك في مجتمعنا، وبعض المجتمعات الأوروبية لدى الأسر المهاجرة في الظروف الحالية، بحيث أصبحت إمكانيات الزواج وبناء الأسرة، والاستقرار العاطفي من المسائل الصعبة).

٥ - على الأم أن تكون ميزان الموائمة بين المتطلبات الواقعية في المجتمعات المختلفة (الغربية أو بعض العربية المنفتحة) وبين القيم الأخلاقية المغروسة في ذواتنا، ولكي لا تصبح فجوة واسعة بين القيم الحالية، وما ترغب الفتاة أن تغيره وفقاً لإرادتها...

١ - فقه الاجتماع، ١، الإمام الشيرازي (دام ظله)، دار العلوم، بيروت، (١٩٩٢)، ص ٢١٤، ص ٢١٩.

٢ - ميزان الحكمة، ج ٧، محمد الريشهري، دار الحديث، إيران، (١٤١٦) هـ. ص ٢٨٧٦.

٣ - الأفكار والميول، م ١، محمد تقي فلسفي، مؤسسة البعثة، بيروت (١٩٩٢)، ص ٢٣.

٤ - تحف العقول، أبو محمد الحراني، دار شريعت، إيران (١٤٢١) هـ. ص ٢٨٥، ص ٢٦٣.

نلاحظ مما تقدم أن الدور الأكبر يقع على كاهل الأم بالدرجة الأولى، فالأب لم يعد له دور اليوم في محور حياة البنت بقدر ما يتعلق الأمر بالتوجيه للأُم والعائلة ككل، مع توفير الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية.. وعلى أثر ذلك يمكن خلق حالة الهوية الناضجة لدى الفتاة من خلال:

- ١- منحها الثقة الأساسية عوضاً عن الحذر.
- ٢- منحها الاستقلالية عوضاً عن الشك والعار.
- ٣ - المبادرة عوضاً عن مشاعر الذنب.
- ٤ - الوضع في التعامل بدلاً من الغموض والعزلة.
- ٥ - التكامل مع الآخرين بدلاً عن حالة اليأس (١).

المشكلات المتوقعة والعلاج

إن النجاح في إرشاد الفتاة بالاتجاه الصحيح، يعدّ من أهم عمليات البناء النفسي في مرحلة المراهقة، فالإرشاد الصحيح هو رعاية وتوجيه النمو نفسياً وتربوياً واجتماعياً، والمساعدة في حل مشكلاتها اليومية الناتجة عن متطلبات مرحلة المراهقة، لذا يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (بروا آباءكم يبركم أبناءكم، وغضوا عن نساء الناس يُغض عن نساءكم) (٢).

ويرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن الشخصية تطلق إما على الفرد، ويراد بها ما للفرد من الخصوصيات والصفات الظاهرة أو الباطنة (٣).

فالأم يجب عليها أن تتعرف على مشكلات الفتاة المراهقة بجانبها الظاهري والباطني، وإلا فإن النتائج المتوقعة ربما تؤدي إلى أعراض غير سوية في مسار الحياة العامة. ومن جملة المشكلات التي تواجه الفتاة هي رغبتها في خوض تجارب جديدة كما تعتقد، لزيادة خبرتها الشخصية، وبالإمكان في مثل هذه الحالات تبصيرها بما يجري كون الحياة ليست حقلاً سهلاً للتجارب، فكل تجربة فاشلة تترك أثراً نفسية لا تقوى على تحملها أو مقاومتها، وعليه فإن تشخيص الحالات في البداية، أمر ضروري جداً، لغرض وضع حلول علاجية للمشكلات ولنبدأ بالخطوات التالية:

١- التجاوب (التعاون)

على الأم أن تكون متجاوبة ومتعاونة مع البنت في هذه المرحلة، وتلازمها كالظل. وتناقش معها تطلعاتها ورؤيتها للواقع أو المستقبل لكي تتعرف على ما يدور بداخلها من أفكار وطموحات. فالتعاون يجعل الفتاة تنصاع للأم لكي يسهل على الأم المساعدة في تجاوز المشكلة.

٢- الابتعاد عن الدكتاتورية (التسلط)

١ - بناء الهوية عند المراهقين والشباب، غسان يعقوب وليلى دمنة يعقوب، مجلة الثقافة النفسية، العدد (٩)، ك (١٩٩٢)، ص ٤٥.

٢ - تحف العقول، أبو محمد الحراني، دار شريعة، إيران (١٤٢١) هـ. ص ٢٨٥، ص ٢٦٣.

٣ - فقه الاجتماع، ١، الإمام الشيرازي (دام ظله)، دار العلوم، بيروت، (١٩٩٢)، ص ٢١٤، ص ٢١٩.

أي يجب على الأم أن لا تتعامل مع الفتاة بأوامر صارمة منذ البداية، وتطلب منها التنفيذ أولاً، فهذا من المحتمل أن يؤدي إلى نتائج عكسية تماماً، فمثلاً لا يجب أن نتوقع طاعة عمياء من البنت.. بالإمكان أن تدع الأم ابنتها تنذر قليلاً، وهذا السلوك يجعلها أن تتخلى عن القلق من البداية.

٣ - على الأم أن تكون محددة الرؤية عندما تضع لابنتها أسس وضوابط، ويجب أن تكون هذه الأسس والضوابط مناسبة، لكي تتقبلها الفتاة.

٤ - ضرورة شرح الأسباب الموجبة وراء هذه الأسس والضوابط، وعليها أن لا تطلب منها الطاعة العمياء، بل فتح باب الحوار والمناقشة للوصول إلى الاستنتاج الأخلاقي.

٥ - على الأم أن لا تؤكد فرض شخصيتها على البنت عند وضع الضوابط، أي بدون فرض معين، فمثلاً نستدل بأمثال من القيم الدينية والمعايير الاجتماعية، وتطبقها كقاعدة خلقية لأسس التربية.

٦ - مراقبة سلوك الفتاة وتصرفاتها عن بعد من خلال ما يصدر عنها وما تحس به.

٧ - استخدام المرونة بعد مرحلة المكاشفة لكي تعبر الفتاة عما يدور بداخلها من رؤية وأفكار، وكيفية استخراج بواطنها بشكل سليم.. لمعرفة ما تفكر به.

٨ - الاستمرار بالملازمة الهادئة من قبل الأم، وليس بشكل تدريجي تارة، وبشكل صارم تارة أخرى، ويطرح بعض علماء النفس علاج للمشكلات الآتية من خلال:

١ - استخدام التأييب الإيجابي:

أي عند فتح الحوار حول المشكلة، وعليها أن تستمر في طرح ما تعاني منه الفتاة.

٢ - استخدام التأييب القاسي:

أي تضع الأم إحدى وسائل العقاب كاستخدام التأييب القاسي لكي يكون أحد روادع السلوك الخطأ.

٣ - الجمع بين الترهيب والترغيب.

٤ - تقوية العلاقة مع البنت المراهقة:

على الأم أن تظهر مزيداً من الحب والحنان لابنتها، وتتقرب إليها وقتاً أطول.

٥ - إعطاء التعليمات الواضحة والهادفة والبناءة.

٦ - السماح ببعض العصيان.

أي تسمح الأم لابنتها أن تعبر عما يدور بداخلها لتسقط انفعالاتها.

خلاصة القول أن مشكلة المراهقة تمرّ دون أية آثار سلبية إذا استطاع الأهل علاجها، علاجاً ناجحاً وتستفحل الظاهرة وتصبح أزمة، كما يسميها بعض علماء النفس (أزمة المراهقة) فإذا ما فشلت الأسرة والقائمين على التربية، في إيجاد حل مناسب، فسوف تؤدي المشكلة إلى التفاقم مع تقدم العمر كل يوم...

ركن الأسرة

الانعكاسات السلبية لظاهرة العنوسة

محمد ثابت

ما هي العنوسة؟

العنوسة لفظ قد يخدش سمع أي فتاة وكلمة مستهجنة تستنكرها كل امرأة ووجه من الوجوه الكنيية في حياتها.

فكيف ينظر المجتمع لهذه الظاهرة؟ وما هي وجهات النظر المطروحة في هذا المجال؟ وما هو رأي الشريعة الإسلامية في ذلك؟

الأحكام - عموماً - ليست مطلقة فالبعض يرى أن هنالك استثناءات تدعو المرأة لأن تكون عانساً والبعض الآخر يرى أن تفاقم عدد حالات الطلاق في المجتمع العربي والإسلامي سببها الزواج السريع وأن العنوسة في بعض الظروف أفضل بكثير من السقوط في المعاناة...

أما الكاتبة كارين صادر فتتناول في كتابها (العنوسة مساحة أنثوية) موضوعاً حساساً تسوده الكثير من المفاهيم، والكتاب دعوة لإعادة النظر بمفهوم العنوسة، تسعى الكاتبة من خلاله إلى دحض الآراء التي تقصر دور المرأة على التكاثر وحفظ النسل وتدعوها للتخلص من الخوف والإقبال على العمل والاستقلال الاقتصادي بعيداً عن أشباح الوحدة والضياع. تعرض الكاتبة لموضوعها عبر ثلاثة عشر فصلاً، وتعتمد إلى عرض لمفهوم الزواج والعنوسة عبر العصور وفي المجتمعات البشرية كافة.

تقول الكاتبة: (إننا نكاد نجد إجماعاً عاماً على نبذ العزوبة عند الشعوب البدائية واحتقار العنوسة وعدم الزواج بدءاً بالبابليين، ومروراً باليونانيين ووصولاً إلى العرب والمسلمين. فعند البابليين كان على الفتاة أن تتزوج حشرة خير لها من أن تبقى دون زواج أما اليونانيين فقد كانت العزوبة عندهم مشكلة أساسية من مشاكل مجتمع أثينا وكان الزواج ضرورة للمحافظة على الدولة، أما في الشريعة الإسلامية فنجد حشاً وتشجيعاً على الزواج.

إذن كيف ينظر الإسلام إلى ظاهرة العنوسة والعزوبة؟

لا شك بأن الإسلام حث على الزواج ونهى عن العزوبة حسب ما جاء في الشريعة واعتبر الزواج سنة لا بد منها، فما هي ظاهرة العنوسة والعزوبة على ضوء المنهج الإسلامي؟

الغنوسة والعزوبة من وجهة نظر الإسلام

حث الإسلام على الزواج ونهى عن العزوبة، فالزواج سنة الحياة وسنة الأنبياء ومن بلغ سن الزواج وكان قادراً عليه في ماله وبدنه وجب أن يتزوج والشريعة السمحاء سوت الطريق أمام الرجل والمرأة لتحقيق هذا الغرض فلم تشترط أن يملك عقاراً أو مالاً، بل طلبت منه تقديم المهر الذي هو عبارة عن هدية، ومن المؤسف أن هذه الهدية قد انقلبت عند الكثير من الأسر إلى واجب مالي ضخم تجعل الرجل غارقاً في بحر من الطلبات التي لا تنتهي مما يؤدي إلى عرقلة حركة الزواج لدى الشباب فتفاقت ظاهرة الغنوسة والعزوبة وتعاليت الصيحات هنا وهناك مطالبة بتخفيف شروط الزواج، وليس هنا مجال تكرار نقد هذه الظاهرة بل رسم الصورة الحالية لشبابنا وشاباتنا، ومع الأسف، ففي أغلب الحالات كان الأهل فيها العائق أمام زواج الفتاة بوضع بعض العراقيل بحجة أن الزوج لا يليق بمستواهم الاجتماعي أو المادي، كما أن التحصيل الجامعي قد برز كشرط مهم لإتمام بعض الزيجات الأمر الذي أدى إلى بلوغ الفتاة سنّاً يعتبر بحكم العرف حاجزاً بينها وبين رغبة الشباب في الزواج منها.

وتذكر بعض الإحصاءات أن نسبة الغنوسة في بعض البلدان العربية بلغت أرقاماً عالية متجاوزة ١٣% في الكويت، وارتفع متوسط الزواج عند الرجال في لبنان إلى ٣٢ عاماً بعد أن كان ٢٨ عاماً قبل عشر سنوات و٢٧ عاماً عند النساء بينما كان ٢٢ عاماً. ولهذا يتوقع بأن تصل نسبة العزوبة إلى ٦٠% من الشباب اللبناني في عام ٢٠٠٨ ناهيك عما بلغته النسبة في مصر التي سجلت تجاوز ١٥ مليون رجل وامرأة سن الثلاثين دون زواج.

ولكن لماذا هذا التدني في نسب الزواج وما هي أسبابه وآثاره الاجتماعية؟

تدني نسبة الزواج، الأسباب والآثار الاجتماعية

حقيقة ومعلومات

تحاول الإحصاءات والدراسات إجلاء الصورة العامة أمام المسؤولين لحثهم على تطوير السياسات والقوانين التي تضع الإنسان في سلم أولوياتها كما يقول كريستيان دوكليرك المدير والمشراف العام على إنجاز تقرير للأمم المتحدة عن التنمية والشباب لعام ١٩٩٨ فتبين أن أحد أهم العوامل المسببة لانحدار نسبة الزواج في لبنان حتى الخمسة في الألف، وهي لا تختلف كثيراً عن باقي دول المنطقة حتى تصل إلى سبعة في الألف في الأردن، و ٨,٦ في الألف في سوريا هو تدهور في الوضع الاقتصادي عامة وذلك يشمل غلاء السكن وقلة فرص العمل. وكما أن لا جديد في ذلك سوى التأكيد البحثي والرسمي لحقيقة يعرفها الشارع اللبناني ويعيشها ليس مستهجناً أن يسلط التقرير الضوء على نظام التعليم الأجنبي واختيار الإناث للتخصصات العملية لعامل مساهم في تأخير الزواج إذ أن الكثيرات يفضلن إكمال دراستهن والعمل قبل الارتباط تماماً كالذكور وبالمقارنة مع الفئة الأمية يتضح أن ٤٥% من المائة من خريجي الجامعات يتزوجون مقابل ٧٩% من الأميين، أما الأميات فـ ٨٤% منهن متزوجات بينما ٣٥% فقط من خريجات الجامعات حققن هذا الارتباط.

وتتجلى تلك النسب أيضاً في دراسة لمقارنة الخصائص الديموغرافية والاجتماعية لظاهرة الزواج في قرى

برحا، عرمتي، جون وقرى البقاع الغربي قام بها معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، تبين الدراسة أن أعلى نسبة من المتزوجين الشباب تبلغ من العمر ٢٠-٣٠ سنة أما المتزوجات منهن بين ١٥-٢٥ سنة أي أصغر بكثير من بنات المدن المتزوجات ويفسر الباحث هذه الظاهرة بأن الفتيات يقبلن على الزواج في سن مبكرة عن الشباب لتوفر فرص العلم. والعمل أكثر عند الذكور في تلك المناطق وبالمقارنة مع قرية القليلة الجنوبية قضاء صور تظهر الدراسة أن متوسط سن الزواج لذكور لم يتغير كثيراً. (٢٥-٢٩ سنة) مما يؤكد أهمية العمل الزراعي في تدني سن الزواج حيث الزواج المبكر في هذه المجتمعات عامل من عوامل زيادة اليد العاملة في الأرض..

هذا بالإضافة إلى المعتقدات الدينية القائلة أن الزواج والإجاب هما أحد الفروض الدينية الواجبة، بحسب البحث. وإن كانت المناطق الزراعية أوفر حظاً في الزواج ربما بسبب المستوى التعليمي أو لقلّة المتطلبات المعيشية في القرى.

فأرض الواقع على وجه العموم حافلة بالمفارقات، ففي الوقت الذي يتمحور سن الزواج القانوني وبحسب قوانين الأحوال الشخصية بمختلف الطوائف اللبنانية حول ١٨ سنة للشباب و١٧ سنة للفتاة (باستثناء الطوائف الكاثوليكية التي تجيز للشباب الزواج في سن ١٦ وللفتاة في سن ١٤) تقول إحدى الفتيات المرتبطة بعلاقة مع شاب: لم أصارح أهلي بعلاقتنا حتى الآن وقد عرفنا بعضنا منذ ثلاث سنوات لأنهم سيضغطون عليه ليخطبني وهو لا يستطيع حتى أن يؤمن شقة.. وتستطرد تقول: أما الزواج فإلى أجل غير مسمى.

ويشير التقرير إلى ارتفاع معدل سن الزواج في لبنان من ٢٩ إلى ٣١ سنة للذكور ومن ٢٣ إلى ٢٩,٥ سنة للإناث بين ١٩٩٦-١٩٧٠. ويذكر كذلك إلى أنه في الوقت الذي تتم فيه معظم الزيجات في لبنان في مراحل تكاد يتجاوز الشبابية فالوضع يختلف في باقي الدول العربية حيث يتراوح سن الزواج بين ٢٥-٢٨ سنة للذكور و٢١-٢٥ سنة للإناث أما في الولايات المتحدة فهو حوالي ٢٥ سنة للذكور و٢٣ سنة للإناث ولكن ما تأثير ذلك؟

الانعكاسات الاجتماعية والآثار المرتبطة على ذلك

حقائق ومعلومات كثيرة قد تعني الكثير وقد تغير الكثير في المستقبل القريب والبعيد على السواء، ليس فقط اجتماعياً فتنبدل الأفكار والقيم السائدة، وإنما أيضاً اقتصادياً وحتى سياسياً. ذلك أن ارتفاع معدل سن الزواج وبالأخص للإناث قد يوازيه مشاركة نسائية أكبر في الحياة العملية والسياسية وقد يتحول مجتمعنا من النظام الأسروي إلى الفردي والذي يترتب عليه الكثير من التغيرات الإنمائية وحتى القانونية وبما أن ذلك النوع من الانعكاسات طويل المدى يصعب تخمينه من الآن فيكتفي الخبراء بالتوقعات.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هو السبيل إلى تجاوز ظاهرة العنوسة؟ وكيف نتجاوز وقفة الشباب أمام الأبواب المغلقة؟ أسئنا بحاجة إلى وثبة مقرونة بتحليل منطقي لهذا الأمر؟ والجواب على هذه الأسئلة يحثنا لأن نراجع القانون العرفي لكي يتم مطابقته مع الدستور الذي أراده الله لنا لكي نرتقي بحلول شافية غير ناقصة.

المنهج الإسلامي كيف ينظر إلى ذلك؟

إن الشريعة الإسلامية اتخذت موقفاً واتجاهاً عادلاً في قضية الزواج والحث عليه لم تتخذ سائر الأديان والشرائع. ونجد ذلك جلياً من خلال النصوص القرآنية وأحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام) نورد بعضها:

١- قال تعالى: (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليمٌ) وقال سبحانه (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) فكلمة (وانكحوا) فيها أمر وحث على النكاح والزواج وإعطاء الفسحة الفسيحة الشريفة بين الجنبيين، أي تزوجوا وزوجوا الصالحين منكم من الرجال والنساء على السواء، ثم أنه تعالى قال: ما طاب لكم وما شئتم وما رغبتم في الكم والكيف ولكن لا على الإطلاق في الزواج الدائم. أما في الزواج المنقطع فلا تحديد في اتخاذ ما شاء من النساء.

٢- وقال (صلى الله عليه وآله) (الزواج سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) وفيها بلاغ عظيم فقد أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) البراءة فمن ابتعد ورغب عن الزواج والتزويد، وأمر باتخاذ واتباع سنته (صلى الله عليه وآله): (من أحب فطرتي فليستن بسنتي وإن من سنتي النكاح) أي الزواج وقال: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحفظ للفرج، وقال: (صلى الله عليه وآله): (ما بنى في الإسلام بناء أحب إلى الله عز وجل من التزويج. وقال الإمام علي (عليه السلام): (أفضل الشفاعات أن تشفع بين اثنين في النكاح حتى يجمع الله بينهما) وقال (صلى الله عليه وآله) (تناكحوا وتناسلوا فإنني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة). فيتبين لنا من خلال هذه النصوص أهمية الزواج وحث الشريعة المقدسة الأكيدة عليه فإلى ذلك فليعمل العاملون.

ولمعرفة رأي الشريعة في موضوع التبتل والتدني أي التعطيل عن الزواج لابد لنا من ذكر بعض الموارد.

التبتل (التعطيل الذاتي عن الزواج) والنهي عنه

وبنفس الاتجاه والأهمية والقوة التي اتخذتها الشريعة الإسلامية في الحث على الزواج اتخذت موقفها في النهي عن التبتل والتعطيل الذاتي عنه وبأغلظ وأشدّ تعبير وتهديد وعلى السواء في ذلك الرجل والمرأة وسواء كان ذلك التبتل والتمتع في ذاتهما أو بأمر خارج عن إرادتهما كالعرف والتقاليد ولنستعرض بعض النصوص لذلك قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (أراذل موتاكم العزاب) وهذا تعبير صارخ بالشدة والتنديد بالأعزب الممتنع عن الزواج وسواء أكان رجلاً أو امرأة ولأي سبب كان لا سيما وأن الله تعالى قد كفل قضية الزواج والمتزوجين والله خير الراحمين والرازقين.

وجاء في الحديث عن النبي الذي يمتنع عن التزويج بسبب العيلة والإعالة والفقر فقد أساء الظن بالله فقد قال (صلى الله عليه وآله): (من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بالله عز وجل). وهذا مصداق للآية الكريمة المتقدمة: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسعٌ عليمٌ).

وقال (صلى الله عليه وآله): (التمسوا الرزق بالزواج) وقال: (أكثر الخير بالنساء). وروي أن امرأة دخلت على الإمام الصادق (عليه السلام) فقالت: أصلحك الله إني امرأة متبتلة.

فقال (عليه السلام): وما التبتل عندك؟

قالت: لا أتزوج.

قال: ولم؟

قالت: التمس بذلك الفضل.

فقال (عليه السلام): (انصرفي فلو كان ذلك فضلاً لكانت فاطمة (عليه السلام) أحق به منك إذ ليس أحد يسبقها إلى الفضل).

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (نهى الرسول النساء أن يتبتلن ويعطلن أنفسهن عن الزواج). وفي هذا يظهر أنه لا محيص ولا مفر من ترك التبتل والتمنع والرجوع إلى الله ورحمته ومحمد وسنته.

المصادر والإحصاءات

- ١- عن العنوسة بقلم خلود تدمري. العربي - العدد ٤٨٠ - نوفمبر ١٩٩٨م - ص ١٧٠.
- ٢- ظاهرة العنوسة والعزوبة - إعداد أحلام مجيد. مجلة النور - العدد ٤٦ - شوال ١٤١٥هـ - آذار/ مارس ١٩٩٥ - ص ٧٤.
- ٣- تدني نسبة الزواج الأسباب والآثار الاجتماعية. جريدة السفير - الخميس ١٧ حزيران ١٩٩٩ - العدد ٨٣٢٣ - ص ٢.
- ٤ - الحياة الجنسية في الإسلام. صباح السعدي - قدم له سماحة العلامة الشيخ باقر شريف القرشي - الطبعة الثانية ١٩٩٢ - دار الأضواء للطباعة والنشر.

ركن الأسرة

تحديد النسل

علي الناصري

المقدمة

عندما تتعلق إرادة الباري عز وجل بخلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض قضت حكمته أن يكون استمرار الحياة البشرية على هذا الكوكب كما هي في تكاثر الأحياء عن طريق التقاء الزوجين الذكر والأنثى بعلاقة فطرية غرس سبحانه وتعالى أسبابها ودوافعها في مكونات الإنسانية الذاتية، فجعل كلاً منهما ينجذب إلى الآخر بشكل فطري طبيعي لإشباع حاجة ملحة على مستوى الجسد والروح.

وليس من المبالغة في شيء أن يقال أن الحاجة إلى الجنس الآخر هي أكثر الحاجات إلحاحاً وأعنف الغرائز تحفزاً وتوثباً، وهذه حكمة بالغة لله في خلقه لضمان استمرار تناسل الإنسان ليعمر الأرض جيلاً بعد جيل. وبهذا اهتمت الشرائع السماوية اهتماماً كبيراً بتنظيم العلاقة بين الجنسين على أسس تضمن استمرارها من جهة وتضع ضوابطها وأحكامها وآدابها من جهة أخرى، لصيانتها من الفوضى والانغلاق التي تدمر هذه العلاقة وقد تفقدها الكثير من غاياتها وأهدافها المقدسة التي أريد لها أن تؤديها.

وحيث أن الإسلام خاتم الأديان وأكثرها كمالاً وشمولاً جاءت تغطيته لهذه العلاقة مفصلة ودقيقة للغاية في كل مراحلها وعلى جميع مستوياتها.

ومن الطبيعي أن يتدخل هذا الدين العظيم المستوعب لكل مجالات الحياة في الثمرة الطبيعية لهذه العلاقة الفطرية فيحدد موقفه من عملية الإنجاب وهي الهدف المتوخى في إيجاد هذه الغريزة لدى كل الأحياء وعلى رأسها الإنسان.

وفي مثل هذه المعالجة الموجزة نحاول باختصار أن نتلمس موقف الإسلام من صيحات علت مؤخراً تنادي بالحد من ظاهرة التناسل من خلال سن القوانين والضغط على بني البشر في بعض المجتمعات لمنع الإنجاب اللامقنن معللة ذلك بمجموعة من الذرائع والحجج، نذكر على سبيل المثال منها ما ورد في مقررات الاتحاد الدولي لتنظيم الأسرة الذي تأسس في الهند في عام ١٩٥٢ وقد انضمت إلى عضويته بعض الدول الإسلامية.

أما المبررات التي ذكروها لقيام مؤسسة دولية لذلك فهي كما يلي:

١- المشكلة السكانية: فازدياد معدل السكان بمعدل رهيب سنوياً لا يتناسب مع قلة المواد الغذائية في الأرض فلا بد من إيقاف الانفجار السكاني تجنباً للمجاعة.

٢- ضرورة رعاية الأطفال: فالأسرة التي تستطيع تربية خمسة أولاد بشكل متوسط تستطيع تربية ولدين

بشكل عادل وتنظيم الأسرة بناءً على ذلك يعني نقصاناً في الكم لحساب النوع.

٣ - رفع مستوى المعيشة: فالأسرة ذات الدخل المحدود لا تستطيع توفير الحاجيات الضرورية لعدد كبير من الأفراد.

٤ - تحرير المرأة من مسؤوليات الأسرة: فهناك صلة وثيقة بين ازدياد الإيجاب وتقييد المرأة، لأن الزوجة ذات الولد الواحد تتخلص من التزاماتها تجاهه في أقل من خمس سنوات ثم تعود دون أية مسؤوليات تشد رجلها.

هذه هي المبررات الرئيسية التي يذكرها القائلون على تنظيم الأسرة وهي مردودة جملة وتفصيلاً.

وقفه مع المبررات

إن تحليل تحديد النسل بقصور الموارد الطبيعية عن كفاية تناسب عدد السكان المتصاعد على شاكلة المتواليات الهندسية لا يمكن أن يعد تعليلاً واقعياً ومنطقياً إذا ما قيس تنامي عدد السكان إلى سعة الأرض وما تحتوي من كنوز وثروات هائلة لا يعوزها إلا أن توزع بشكل عادل ومنصف وفقاً لتعاليم الدين الإلهي وما أوصى به الرسل والصالحين في هذا الميدان وساروا عليه. ولذلك فليست الشحة في الموارد هي سبب نقص وإنما العلة تكمن في شح النفوس واستئثارها، وانسياقها وراء المبادئ المادية التي تحولها إلى ضواري مفترسة.

١ - وأما ما يتشدد به من رعاية الأطفال والسيطرة على القليل منهم والعجز عن الكثير، فالواقع خلاف ذلك لأن سنة الحياة في الإنسان وغيره شاهد عدل على أب وأم لهم القدرة والكفاءة على رعاية عدد من الأطفال معيشياً وتربوياً وعلى كل الأصعدة، ولا بد لنا من الاعتراف بأن القلة والكثرة قد تؤثر في بعض الأحيان، ولكن تأثيرها ليس مطلقاً حتى تجعل منها علة للإقدام على عمل قد تكون له تأثيرات سلبية كبرى.

إضافة إلى أن جميع الناس يمكنهم أن يأتون بأدلة واقعية تشهد بأن بعض الأسر استطاعت أن تدير شؤون أولادها مع كثرتهم بشكل صحيح وناجح فخرجت رجالاً أكفاء ونساء صالحات في حين أخفقت بعض الأسر في بناء طفل أو طفلين بناءً صحيحاً.

ثم من يدري فلعل منع الإيجاب يتسبب في الحيلولة دون ولادة عبقرى فذ يؤدي دوراً ريادياً في المجتمع أو يساهم في إصلاح مجتمعات بأسرها فضلاً عن أسر وأجيال.

٢ - وكما تقدم من النقطة الأولى نضيف هنا أن تحديد النسل وتقلص عدد السكان ليس هو الحل الوحيد لتسارع إليه دون رؤية وتفكير، فلماذا لا يجد الإنسان حلاً آخرى كالعامل على إيجاد مجتمع توزع فيه فرص العمل وتستغل فيه كل الطاقات لعمارة الأرض بدلاً من بذل الجهود وإنفاق الأموال على مشاريع التسابق في التسليح وإنتاج الأسلحة الفتاكة، فهل أن مشكلة الإنسان هي منحصرة في التفكير في كيفية القضاء على بني جنسه أما يمنعهم من دخول الدنيا أو بإنتاج الأسلحة التي بإمكانها أن تقضي عليهم إن هم ولدوا.

٣ - ولعل من المفارقات أن يبرر تحديد النسل بتحرير المرأة عن مسؤولياتها وفي هذا المجال لا بد من تنظيم سلم الأولويات في مسؤوليات المرأة لنتعرف على الأهم والمهم والأقل أهمية منها، وذلك وفقاً لتركيبتها الفسيولوجية والفطرية، أليس الإيجاب والتربية وتزويد المجتمع بأجيال صالحة رجالاً ونساءً هي أهم مسؤولية للمرأة، بل هي الغاية الأولى من خلقها بهذه الخصائص والمواصفات.

ولا نريد أن نحجم المرأة في هذه الدائرة فقط فبإمكانها أن تنطلق إلى آفاق أرحب إن هي نظمت وقتها وحياتها ولكن لا بد من معرفة المسؤوليات حسب أهميتها وجوهريتها بالنسبة للمرأة.

ولكن الأمر الذي يخشى منه على المرأة هو أن تخفي مثل هذه الدعوات والصيحات وراءها ما يسيء إلى المرأة وحريتها فيتشكل الفكر الهدام من خلال هذه الدعوات المنمقة التي قد تنطلي على الكثير من النساء والرجال كما انطلت الكثير من الشعارات الكاذبة على هؤلاء.

ومما يزيد الأمر ريبة أن أصحاب هذه الدعوات المتظاهرين بالحرقة على المرأة ومعاناتها هم صم بكم لا ينبسون ببنت شفة حينما يرون المرأة تهوي في مزالق البغاء وانحطاط الخلق وممارسة الرذيلة كما أن بعض العبارات الملغمة التي يطلقها هؤلاء تكشف عن بعض ما يضمرون كما قال أحد المسؤولين: (إن مهمة التوعية لتنظيم الأسرة هي في الدرجة الأولى مهمة لنسف القيم التي يقوم عليها المجتمع. ولكي نستطيع القيام بتنظيم حقيقي للأسرة عينا أن نخلخل المفاهيم .. فما هي المفاهيم وكيف يجب خلخلتها؟

من المعلوم أن المفاهيم هي المفاهيم الإسلامية والقيم هي مجموعة التقاليد التي تقوم عليها الأسرة الإسلامية. أما كيفية خلخله ذلك فتأتي عن طريق محاولة التشكيك في الإسلام وإبراز المبادئ الملحدة كبديل عنه.

والغريب أن الذين يتحمسون لتنظيم الأسرة لا يرون أي ضرر في انتشار البغاء كما أن الدول التي تقول بتحديد النسل لا تحاول مرة واحدة تحديد أو منع البغاء.

لاشك أن رأي الإسلام لا يرضى بتحديد النسل تحت أي شعار كان. ويكذب أولئك الذي يفسرون الحديث النبوي الشريف (تناكحوا... تناسلوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة ولو بالسقط) ولا يريد (الازدياد المنظم) أليس الإيجاب أكثر خيراً من منع الحمل؟

وحديث النبي (صلى الله عليه وآله) ليس في الكثرة النوعية أبداً، وإلا فأي ربط للمباهاة التي يذكرها النبي (صلى الله عليه وآله) مع كلمة تكاثروا وكلمة ولو بالسقط؟

أما قضية تفاقم السكان فإن حل الإسلام لها يأتي على نوعين:

١- الحل العام.

٢- الحل الخاص بالوضع القائم.

وقبل أن نستعرض الحل الأول لابد من الاعتراف بأن الإسلام قد يجوز تحديد النسل بالنسبة إلى بعض الأسر كموارد جزئية فيجوز للزوج مثلاً العزل عن زوجته الحرة لكنه لا يجوز كحركة عامة إلى الإقلال من عنصر الإنسان في الحياة.

وفي رأيه، أن الله خلق الأرض البشرية وأن هناك دائماً توازن في جسم الأرض بالإنسان.

وفي رأيه أيضاً أن موارد الأرض تزيد دائماً عن حاجة الإنسان مهما تكاثرت نسله، فيصرح القرآن قائلًا: (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون) وبنعمة الله هم يكفرون).

فطيبات الأرض لن تصبح أقل من حاجة البشرية إنما توزيع الناس وسوء تحديد البلاد سياسياً هما اللذان كثيراً ما يولدان صعوبات حادة لحياة بعض الشعوب.

هناك بعض البلدان الغنية بالأرض الخصبة والمعادن والثروات الطبيعية وأهلها يعيشون على التخمة والتضخم المالي. وهناك بعض البلدان الفقيرة ذات الأراضي الجرداء تنام مع البلدان الغنية جنباً إلى جنب على فراش واحد ولكن شعوبها على العكس يعانون من سوء التغذية والجوع والموت.

العملية بسيطة إذن، البلدان الغنية تفتح أبواب ثرواتها بوجه الشعوب الفقيرة والرأسمالي الغني يهاجر إلى البلدان الفقيرة وتقوم منظمة دولية بالإشراف على قضايا التغذية والإدارة والتشغيل وبذلك يعيش الجميع على أرض واحدة مرتاحين.

إن هناك المنات ممن يحرمون من ترخيص للدخول إلى الحياة بفعل هذا الشيء الذي يسمونه تنظيم الأسرة. ولكن في ظل الإسلام مستحيل أن يموت إنسان واحد من الجوع لأن الإسلام لا يعتقد كما تعتقد الماديات المعاصرة، أن الإنسان مجرد عشب صحراوي يطلع من بطن أمه لا يهم لو جاع أو عطش أو مات.

الإنسان في نظر الإسلام له كرامة خاصة أضخم من كرامة الأرض كلها، حتى الجنين في نظره له كرامة، ولذلك فإن النظام الإسلامي يتكفل لكل شخص مهما كلف الأمر حياة معيشية عادلة. فيسعى في الدرجة الأولى لكي يهيئ لكل فرد عملاً محترماً ينسجم مع كفاءاته حتى يستطيع أن يشكل ويتكفل أسرة كاملة فإذا عجز عن المواصلات فإن على أقرب الناس إليه أن يتكفل شؤونها ليس مئة وإنما عملاً بالواجب الإسلامي المفروض، وإذا كانت هناك أسرة متكاملة تعاني من العجز المالي من دون أن تكون لها قرابات إطلاقاً فإن الدولة الإسلامية هي التي تتكفل شؤونها التربوية والصحية والاجتماعية جميعاً.

المصادر

- ١ - المرأة في التشريع الإسلامي والحياة الغربية. السيد حسن العوامي.
- ٢ - الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام. د. عبد السلام الترماني. سلسلة عالم المعرفة. العدد (٨٠).
- ٣ - تحديد النسل من وجهة نظر إسلامية، عبد الرسول عليخان.

ركن الأسرة

الطلاق وأثره على البناء الاجتماعي

محمد علي حسين

الحديث عن موضوع الطلاق هو الوجه الآخر للحديث عن الزواج، فكما أن أحكام الزواج حسب الشريعة الإسلامية تستوفي مجموعة من الأبواب والفصول المسببة للشروط، كذلك فإن هنالك مقدمات وأسباب قررها الشارع المقدس يتم على أساسها الطلاق

وهو أبغض الحلال عند الله. فالزوج ليس ملكاً لنفسه وكذلك الزوجة باعتبار أن مجموعهما يشكل تلك الخلية الاجتماعية التي على أساسها يقوم البناء الاجتماعي والثقافي للأمة، وهذه الخلية في أبسط صورها هي الأب والأم والأولاد ما يطلق عليه علماء الانثروبولوجيا اسم العائلة الأولية أو النواة أو الزوجية، وعلى أساس هذه النواة يتم توثيق وتكثيف درجة العلاقات الاجتماعية فتتسع العلاقات القرابية من خلال التكاثر بين أفراد الجماعة الواحدة التي يترتب عليها مسؤوليات اقتصادية واجتماعية وإدارية. إلا أن ذلك التفاعل لا يخلو من مشاكل تتعلق بالزوج تارة وبالنزوة تارة أخرى فهناك بعض الأزواج الذين يتجاوزون ارتباطاتهم الشرعية ويخالفون أصول القاعدة الزوجية الصحيحة وكذلك الحال بالنسبة إلى الزوجات، وما يترتب عليه من آثار سيئة تصل إلى الطلاق. وتقول بعض الدراسات حول مسببات الطلاق فيما يتعلق بالنزوة ما يلي:

هناك بعض الزوجات يردن احتكار كل شيء في العلاقة الزوجية كالحب والنقود والوعود العاطفية وغير ذلك، غير عابئات بتلك الرواسب والآثار السيئة التي تتركها على ديمومة الأسرة. وهذا الارتباط الشاذ من الناحية الاجتماعية والأخلاقية يطبع بصماته على مستقبل الحياة الزوجية ويجرّها إلى أوحم العواقب التي تنتهي إلى فشل الزواج.

فالرجل هو في الواقع وفي كل المجتمعات بحاجة ماسة إلى امرأة توازره وتمدّه بحافز للحياة دون أن تهدده أو تطالبه بالكثير من أجل إرضائها عاطفياً. بينما يرغب الزوج في الانفلات من كل قيد غير عابئ بموضوع الانحلال الأسري الذي يؤدي إلى انهيار القيم الاجتماعية وتدمير الفرد والمجتمع.

الطلاق في منهجية علم الاجتماع

لكي نجنب أنفسنا عملاً لا يعدو أن يكون عادياً إذا تمّ قياسه في ضوء النتائج الشاملة التي ستترتب عليه وهو الطلاق، ينبغي البحث عن الاستعداد الكامل لبناء شخصية قوية متكاملة اجتماعياً باعتبارها شكلاً من أشكال التفاعل الكلي لعملية النمو الاجتماعي، حيث أن الحكم على الشيء يحدده العقل. ولكي يصبح الفعل جزءاً من التماسك القائم على المعيار الصحيح لا بد من التحلي بالعمل الفاضل المنسجم

مع حالات الشعور الصائب ما نطلق عليه الميل إلى الفضيلة والخير، فالأسرة المنسجمة هي الأسرة الواعية لشروط ومتطلبات الإسلام الذي يؤكد على الاحترام والمودة وما يسمى في علم الأخلاق والتربية بالجانب الأخلاقي الذي يتعلق بطبيعة الضمير، لذا فقد عرج المتخصصون على أنه - أي الضمير - : (ملكة أصلية للإضاءة تشرق إذا لم تكن قد أصبحت معتمة نتيجة الانغماس في الخطيئة).

لذا فإن تربية الضمير يُعد جزءاً من السيطرة على النواحي الشعورية والأخلاقية للتعامل السليم بين الزوجين، وخير طريق للتربية الصحيحة هو استيعاب أحكام التربية الإسلامية الساعية إلى إرساء أسس المنهج المتكامل من القيم الأخلاقية.

الزواج في المجتمعات الغربية

مع بُعد المجتمعات الغربية عن وجوب إلزام الناس بالفضائل الأخلاقية إلا أن الزواج لم يعد يلاقي الاحترام نفسه الذي كان يتمتع به في السابق. لقد زالت تلك الهيبة والقداسة والاحترام الكبير التي كانت تُسبغ على الذين يتبنون عقود الزواج في السابق.

ومن الجدير بالذكر، الاعتراف بحقيقة مؤلمة هي أن معظم أعضاء تلك المجتمعات من رجال ونساء وخصوصاً من الأجيال الحديثة أصبحت تنظر إلى الزواج نظرة لا تخلو من الازدراء والاحتقار أو التشاؤم من الإمكانيات التي يمكن أن يحققها. ويظهر هذا الواقع بوضوح تام في المجتمعات الصناعية الغربية خصوصاً في زمن تشاع فيه الإباحية حيث يتاح للإنسان أن يحصل على ما يشبع غرائزه الطبيعية دون اللجوء إلى الزواج وتحمل تكاليفه.

إن للتقلص المستمر في قيمة الزواج في الأزمنة المعاصرة في مجتمعاتنا أسباباً عديدة معظمها قادم من ناحية بلاد الغرب الغارقة في الانحلال والتسيب، فبدلت بشكل حاسم النظرة العامة للجنس وأصبح من جرّاء ذلك كل شيء مستباحاً جنسياً واختلط الحابل بالنابل ولم يعد أحد يرى في الإباحية الجنسية أي عيب.

ثم جاءت حركة تحرير المرأة والمطالبة بمساواتها بالرجل فزادت الطين بلة ولاشك أن أحد الأسباب في انخفاض الإقبال على الزواج أو الاستهانة بمسألة الطلاق تلك الدعوات المتواصلة إلى أنواع جديدة من الزواج، وهذه الدعوات لا تتقيد بأصول القانون والدين والأخلاق بل تتم تحت شروط الطرفين في الموافقة على العيش تحت سقف واحد.

مثال ذلك العيش فيما يسمى بـ(الكومونات) التي تنادي بالجنس الحر الذي لا يحده أي قيد، والزواج الجماعي المنتشر كثيراً في الغرب والنمط الجديد من الزواج الذي يطلق عليه اسم (الزواج المفتوح) والذي يتم فيه للطرفين مطلق الحرية في ممارسة الجنس حتى تكتمل كما يقال مراحل التجربة الجنسية الشاملة التي يجب أن تسبق أي زواج ناجح.

وأخيراً وليس آخراً فلا بد من الإشارة إلى الدور الذي لعبته موضة تبادل الأزواج المنتشرة في البلدان الغربية في الإقلال من هيبة الزواج وفيه نزع قسم كبير من هالة القدسية التي كان يتمتع بها في السابق.

فهل يا ترى سينقرض الزواج كلياً في المستقبل في تلك المجتمعات أم يعود الناس إلى وعيهم السابق بعد أن يتبين لهم مرة أخرى ما للزواج من فضائل؟

الطلاق في المفهوم الإسلامي

في مقابل ما تقدم من استعراض وضع الزواج في المجتمعات الغربية وانتشار حالات الطلاق نرى أن الإسلام يشدّ من رباط الزوجية ويقويه. من خلال تأكيده لحقوق الزوجة، وهذه الحقوق كثيرة نختار بعضاً منها: مثلاً حقها في الصداق، فهو من حق المرأة وحدها تتصرف فيه كيفما تشاء وليس لوالدها ولا لزوجها حق فيه وما دامت رشيدة فهي تتصرف فيه تصرف المالك بالبيع أو الهبة أو الوصية أو التصديق منه في أوجه الخير أو مشاركة الزوج فيه برضاها ودون ضغط منه في تأثيث منزل الزوجية الذي يجب عليه من ماله الخاص غير الصداق وليس لأحد الحق في الحجر على تصرفاتها ما لم تكن سفيهة، لأن الإسلام قرر لها ذمة مالية مستقبلية بحيث تتصرف فيما تملك دون الرجوع إلى إذن زوجها، وفي ذلك يقول الله تعالى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) البقرة: ٢٢٨.

ولقد ظفرت المرأة المسلمة بهذا الحق منذ أن نزل القرآن المجيد في الوقت الذي كانت فيه المرأة غير المسلمة في الشرق أو في الغرب وما زالت مقيدة التصرف فيما تملك فلا تتصرف إلا بإذن زوجها. وثاني هذه الحقوق هي النفقة: فمن حق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها كما في قوله تعالى: (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) الطلاق: ٧.

والنفقة تشمل المسكن والطعام والكسوة المناسبة صيفاً وشتاءً، والمراد بالسكن المكان المناسب لحالة الزواج والذي تأمن فيه الزوجة على نفسها وعرضها وهو المراد بقوله تعالى: (أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ) الطلاق: ٦، بمعنى أن يكون المسكن مناسباً مكتمل المرافق ولا يجوز أن تضار الزوجة بوضعها في مسكن غير لائق لإجبارها على شيء لا ترضاه كالتنازل مثلاً عن جزء من النفقة المالية أو عن الأولاد في حالة المنازعات بينها وبين زوجها ولذا قال الله تعالى (ولا تضاروهن لتضييقوا عليهن) ومما يجب أن يلاحظ أن حق النفقة مشروط بطاعة الزوجة لزوجها.

وفي هذا التشريع تأكيد العلاقة بين الزوجين وتبادل الحقوق حتى تستمر الحياة الزوجية ترفرف عليها السعادة وتظل قائمة على الودّ حتى عند حدوث أبغض الحلال في رأي العقيدة الإسلامية وهو الطلاق. وصدق الله تعالى إذ يقول: (فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوْفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ) البقرة: ٢٢٩.

ورابع هذه الحقوق التي منحها الله سبحانه وتعالى للمرأة هو إحسان عشرتها: فمن حق الزوجة على زوجها أن يحسن عشرتها وفي ذلك تنفيذ لأمر الله سبحانه وتعالى القائل: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرِوْفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) النساء: ١٩. أما النبي (صلى الله عليه وآله) فقد أوصى بحسن معاشرته النساء وكان قدوة حسنة لأمتة في هذا الميدان.

لقد كان الزوج الحنون والأب الرحيم لزوجاته فكان يداعبهن مداعبة معقولة وكان يأذن لزوجته في الوقوف خلفه لترى الأحباش وهم يلعبون بالدرق والحرايب في المسجد كنوع من المتعة الحلال إشارة للمتزمتين الذي يحرمون على زوجاتهم وبناتهم كل شيء باسم الدين.

لقد ساوى الإسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات حفاظاً على كيان الأسرة وتجنباً للطلاق دون أن

تعني مساواته هذه إلغاء تمايز الجنسين في الطبيعة أو الاختصاص فقرر للمرأة إنسانيتها واحتفظ لها بشخصيتها بعد أن نظر إلى أهمية بقاء الألفة والمحبة بين الزوجين حتى في حصول حالات الافتراق بينهما بغية بقاء رابطة الزوجية وتحقيق شروط المجتمع السليم.

وقد بحث علماء الأمة مسألة الطلاق من كل النواحي وأعطوها حقها من الدراسة والتحليل، فيذكر سماحة الإمام الشيرازي بحثاً خاصاً حول الموضوع في كتابه الموسوم بـ(الاجتماع) يذكر فيه أسباب هذه الظاهرة وأثرها في المجتمع كما يذكر أربعة عشر بنداً من عوامل وأسباب هذه الظاهرة السلبية في المجتمع الإسلامي.

المصادر

- ١ - كتاب الاجتماع. الإمام الشيرازي. ج ٢ ص ٤٠.
- ٢ - عبد الله أحمد. بناء الأسرة الفاضلة.
- ٣ - عادل علي عجيان. المرأة والمشكلات الاجتماعية.

شبهات وردود

في القراءة وبعض افعال الصلاة

نزار مصطفى

- س ١: هل البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) آية من سورة الفاتحة؟
ج ١: نعم إن البسملة آية من سورة الفاتحة. وما يؤيد أنها آية من آيات سورة الفاتحة السبع ما جاء في القرآن الكريم (ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم) (١).
- وفي مستدرک الحاكم على صحيح البخاري ومسلم في باب التفسير بسند معتبر عن ابن عباس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (فاتحة الكتاب، بسم الله الرحمن الرحيم... إلى آخر السورة). قال ابن جريح عن أبيه أنه قال لسعيد بن جبیر (رضي الله عنه) قلت لأبي: لقد أخبرك سعيد بن جبیر عن ابن عباس أنه قال أن البسملة آية؟ قال: نعم (٢).
- وكذلك بالنسبة إلى بقية سور القرآن، عدا سورة التوبة فإن البسملة ليست جزء منها. كما جاء عن ابن عباس (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: أنه كان إذا جاء جبرئيل وقرأ البسملة علم أنها سورة، وأنه (صلى الله عليه وآله) لا يعلم ختم السورة حتى تنزل البسملة (٣).
- ذكر الإمام الشافعي في مسنده (٤): أن عبد الله بن عمر كان لا يدع البسملة.
- س ٢: لماذا أنتم الشيعة تجهرون بقراءة البسملة في الصلاة؟
ج ٢: أن الجهر بقراءة البسملة في الصلاة سنة نبوية، فلذلك نأتي بها كما سنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، اقتداءً بسنته الشريفة، حيث قال (صلوا كما رأيتموني أصلي). وكذلك فعل الصحابة من بعده.
- في مستدرک الحاكم عن حميد الطويل عن أنس بن مالك أنه قال: (صليت خلف رسول الله وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. فكانوا يقرؤونها... ويهجرون بقراءتها) (٥).
- وذكر الإمام الرازي في تفسيره الكبير (إن بني أمية بالغوا في المنع من الجهر بالبسملة سعيًا في إبطال آثار علي بن أبي طالب (عليه السلام) في مبالغته بالجهر بها) (٦).
- ويقول في تفسيره أيضاً: (إن البيهقي في سننه روى الجهر بالبسملة عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن

١ - سورة الحجر، آية ٨٧.

٢ - مستدرک الحاكم على الصحيحين، ص ٢٥٧-٣٣٢، ج ٢.

٣ - مستدرک الحاكم على الصحيحين، ص ٢٥٧-٣٣٢، ج ٢.

٤ - مسند الإمام الشافعي، ص ١٣.

٥ - مستدرک الحاكم على الصحيحين، ج ١، ص ٢٥٧-٣٣٢.

٦ - التفسير الكبير للرازي، ج ١، ص ١٠٦.

عمرو وابن الزبير - إلى قوله - وأما علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كان يجهر بها وقد ثبت ذلك بالتواتر، ومن اقتدى بدينه بعلي فقد اهتدى والدليل على ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم أدر الحق معه حيث دار).

وجاء في المستدرك للحاكم وتلخيصه للذهبي عن أنس بن مالك نفسه: (إن معاوية صلى في المدينة صلاة جهر فيها بالقراءة بالبسملة في الفاتحة ولم يقرأ البسملة للسورة التي بعدها. فلما سلم ناداه من سمع ذلك من المهاجرين والأنصار: يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت...؟ فلما صلى معاوية بعد ذلك قرأ البسملة للسورة التي بعد الفاتحة) (١)...

فهذه الأحاديث لا تجعل أهمية لما ذكروا عن أنس بن مالك من مجاملته لبني أمية التي تذكر خلاف ذلك... فالجهر بقراءة البسملة سنة سنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والإخفات أو ترك قراءة البسملة سنة بني أمية.

س ٣: ما هو جوابكم عن قول أمين بعد قراءة الفاتحة في الصلاة؟

ج ٣: أجمع المسلمون على أن كلمة أمين ليست جزءاً من سورة الفاتحة وبالتالي هي ليست من القرآن، فلذلك أفتى فقهاء الشيعة ببطلان الصلاة إذا قرأت كلمة أمين بعد الفاتحة، وكذلك كل كلمة ليست من القرآن، أو الدعاء، أو ذكر الله سبحانه وتعالى أثناء الصلاة. وأفتى بعض فقهاء الشيعة بصحة الصلاة إذا قرأت كلمة أمين بشرط عدم الجزئية من القرآن وبنية الدعاء.

وبهذا الصدد يقول الدكتور الشرباجي الأستاذ في جامعة الأزهر في كتاب (يسألونك عن الدين والحياة): (إنها غريبة الأصل - أي كلمة أمين - وإنها غير عربية وإنها موجودة في ديانات أخرى وإن الأنجيل مختمة بها وكذلك مزامير داود، وإنها مشروعة عند بعض المذاهب الإسلامية ومندوبة (مستحبة) عند بعض وواجبة عند الظاهريين منها، وعند العترة بدعة (يقصد عند أهل البيت) وعلى ما عند أهل البيت (عليهم السلام) يجري الشيعة في عدم استعمالها) (٢).

وقال أيضاً (إن أمين ليست بقرآن وإن معناها اللهم اسمع واستجب ونحو ذلك. وأنه لم يصح قول من قال أنها من أسماء الله، إضافة إلى كونها ليست جزءاً من القرآن في الفاتحة المتلوة ومع ذلك فقد جوز بعض علماء الشيعة الإتيان بها بنية عدم الجزئية) (٣).

س ٤: لماذا ينهى فقهاء الشيعة عن التكتف في الصلاة؟

ج ٤: قصد البعض بالتكتف الخشية والخشوع لله سبحانه وتعالى، وهذا مما لا سبيل إليه، لأنها لو كانت كذلك لسنّها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهي إذن ليست سنة نبوية، فقد ابتدأ التكتف الذي عليه السنة منذ أواسط خلافة عمر عند مجيء أسرى الفرس ومثولهم بين يديه متكتفين (واضعين إحدى الكفين على الأخرى على البطن).

١ - مستدرك الحاكم على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٥٧-٣٣٢ وتلخيصه للذهبي.

٢ - كتاب يسألونك عن الدين والحياة، ج ٣، ص ٢٢.

٣ - المصدر السابق.

فاستغرب ذلك منهم وسألهم فقالوا نقف هكذا بين يدي عظامنا. قال: ليكن الوقوف بين يدي أعظم العظماء في الصلاة هكذا. ولما كان وقت الصلاة وتقدم إلى المحراب أمر الناس أن يفعلوا مثلهم وفعل هو أيضا. وافقه على ذلك من وافقه وبقي من بقي على ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر وشطراً من خلافة عمر.

وتبع من وافقوا عليه بعض المذاهب، وتبع الذين لم يوافقوا بعض المذاهب أيضا فالمالكية والزيدية والشيعة تسبل في الصلاة والآخرون يتكثفون باعتباره جزءاً من الصلاة وقد أفتى بعض فقهاء الشيعة بعدم الجواز مطلقاً، وبطلانها إذا كانت بنية الجزئية، أو أن يؤتى به عمداً عند البعض الآخر.

س ٥: لماذا تكبرون ثلاث تكبيرات عند انقضاء الصلاة؟

ج ٥: تعتبر تكبيرة الإحرام ركن من أركان الصلاة، فهي بمثابة الدخول العملي في الصلاة، أما الخروج منها بعد انقضائها فيكون بثلاث تكبيرات.

وقد ذكر التكبير في مواطن عديدة من القرآن الكريم كقوله تعالى: (وَبِكَبْرٍ) (١) (ولم يكن له ولي من الدّلّ وكبره تكبيراً) (٢). (إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر) (٣).

وذكرت كتب السير والتواريخ والسنة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عندما دخل مكة فاتحاً كبر ثلاث تكبيرات، ولما جاء هو وعلي (عليه السلام) لتطهير الكعبة من الأصنام كبر وأتبع التكبير بالآية (وقل جاء الحقّ وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً) (٤). وجاءت الروايات باستحباب التكبير، عند رؤية الهلال، ولمشاهدة أمر عجيب، ولانتهاء القاضي من حكم قضية وضحت بعدما عميت و... الخ.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا انتهى من الصلاة كبر ثلاثاً، كما جاء في صحيح مسلم بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: (كنا نعرف انقضاء صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالتكبير) (٥).

وعليه فالشيعة أسوة برسول الله (صلى الله عليه وآله) تكبر ثلاثاً عند الفراغ من الصلاة. وللأسف فإن الذين لديهم غايات دنيئة، وبعض ضعاف النفوس ومن ليس لديهم اطلاع على فقه الشيعة، يتهمون الشيعة بأنهم يقصدون بذلك أو يقولون: (خان الأمين) يعني جبرائيل (عليه السلام)، الذي أمره الله بإعطاء الرسالة لعلي بن أبي طالب، ولكنه خان الأمانة وأعطاهما محمداً (صلى الله عليه وآله) وصير علياً وغيره تبعاً له. يا لها من فرية فضحها حتى من كان على رأي مدعيها.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونسأل الله أن يصلح أمر المسلمين.

١ - آية ٣، سورة المدثر.

٢ - آية ١١١، سورة الإسراء.

٣ - آية ٤٥، سورة العنكبوت.

٤ - آية ٨١، سورة الإسراء.

٥ - صحيح مسلم، ج ١، ص ٢١٩.

من أعلام الشيعة

الشهيد الأول

نزار مصطفى

هو العلامة الجليل الفقيه أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين بن مكي بن شمس الدين محمد الدمشقي الجزيني، ولد سنة ٧٣٤ هجرية واستشهد سنة ٧٨٦ بدمشق.

نشأته

ولد الشهيد الأول في منطقة جزين وهي إحدى مناطق جبل عامل جنوب لبنان، في بيت من بيوت العلم والدين، وتلقى فيها مبادئ العلوم العربية والرياضيات والفقه على يد والده الشيخ مكي جمال الدين الذي كان من فقهاء جبل عامل، وهو أول من أجازته في الفقه، فكان هذا عاملاً أساسياً في تربية الشهيد تربية دينية يملؤها الطموح لنيل الاجتهاد والمرجعية الدينية. وتتلّمذ الشهيد كذلك في جزين على الشيخ أسد الدين الصائغ الجزيني أبو زوجته، وعم أبيه وكان عالماً كبيراً يتقن ثلاثة عشر علماً من العلوم الرياضية.

رحلاته

لقد كانت طموحات الشهيد كبيرة في تلقي العلوم، لذا نرى أنه لم يكتف بما تلقاه من مسقط رأسه (جزين) بل شدّ الرحال إلى أرجاء البلدان الإسلامية كي ينهل العلوم من مراكزها العلمية. وأهم هذه الأقطار الحلة، التي كانت حاضرة العلم والفكر الشيعي آنذاك فقد انتقلت إليها المدرسة الشيعية من بغداد، بعدما غزا المغول بغداد وأحرقوها وشرّدوا أهلها وأمعنوا في التدمير والخراب. فهاجر علماء الشيعة وأعيانهم إلى الحلة، وعلى رأسهم المحقق الطوسي وتلميذه العلامة الحلي، الذي شيد مدرسة الحلة بعد وفاة أستاذه الطوسي ومن ثم تطورت مدرسة الحلة على يد فخر المحققين ابن العلامة الحلي. رحل الشهيد بعد ذلك إلى كربلاء وبغداد ومكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقدس، فهذه المدن تشكل آنذاك أهم المراكز العلمية الإسلامية. ووطد الشهيد علاقاته مع علماء المراكز، وكان على صلة وثيقة ومعرفة تامة بمشيخة الرواية والفقه والكلام من أعلام أهل السنة. وكان يصاحب كثيراً أقطاب مذهبهم. وبهذا الصدد يقول الشهيد في إجازته لابن الخازن: (وأما مصنّفات العامة ومروياتهم، فإني أروي عن نحو أربعين شيخاً من علمائهم بمكة والمدينة ودار السلام بغداد ومصر ودمشق وبيت المقدس ومقام إبراهيم الخليل،

فروى صحيح البخاري عن جماعة كثيرة بسندهم إلى البخاري، وكذا صحيح مسلم، ومسنند أبي داود، وجامع الترمذي، ومسنند أحمد، وموطأ مالك ومسنند الدار قطنى، ومسنند ابن ماجة، والمستدرک على الصحيحين للحاكم ابن عبد الله النيسابوري..).

هذا النص يطلعنا على مدى الفائدة العلمية التي استقاها الشهيد في رحلاته إلى مختلف البلدان الإسلامية، واطلاعه على بقية المذاهب الأخرى.

أساتذته

بالإضافة إلى الدروس التي تلقاها الشهيد الأول من والده الشيخ وعم والده، درس على أكابر علماء الشيعة وفقهائها منهم:

١ - فخر المحققين الحلبي: وهو أبو طالب محمد بن حسن يوسف بن المطهر الحلبي نشأ على يد أبيه العلامة الحلبي، بلغ مرتبة الاجتهاد في سن متقدمة وأكمل بعض كتب والده العلامة الحلبي كالألفين وغيره. أجاز الشهيد مرة بداره بالحلة سنة ٧٥١ هـ، في هذا التاريخ كان عمر الشهيد ١٧ سنة وأجاز بداره بالحلة سنة ٧٥٨ وأجاز مرة ثالثة بالمكان المتقدم.

ويروى أنه قال: (لقد استفدت من تلميذي محمد بن مكي أكثر مما استفادته مني).

٢ - ابن معية: من علماء الحلة الكبار، وأحد تلامذة العلامة الحلبي، اشتغل بالتدريس والكتابة والتقى به الشهيد في الحلة فوجده عالماً موسوعياً خبيراً واسع المعرفة، فاغتتم مجالسه واستفاد منه واستجازه. وأجاز ولديه (أبا طالب محمد) و(أبا القاسم علي) في سنة ٧٧٦ قبل موته.

قال عنه تلميذه النسابة السيد محمد بن علي الحسيني في كتابه (عمدة الطالب): (شيخ المولى السيد العالم الفاضل الفقيه الحاسب النسابة المصنف، إليه انتهى علم النسب في زمانه وله الأسانيد العالية والسماعات الشريفة أدركته (قدس الله روحه) شيخاً، وخدمته قريباً من اثنتي عشرة سنة قرأت عليه ما أمكن حديثاً ونسباً وفقهاً وحساباً وأدباً وتاريخاً وشعراً..).

٣ - قطب الدين الرازي البويهى: وهو من تلامذة العلامة الحلبي، ومؤلف (شرح المطالع) و(شرح القواعد) و(المحاكمتين). التقاه الشهيد في دمشق ودرس عنده العلوم العقلية، وتوسع على يديه في دراسة الحكمة الإلهية والفلسفة.

قال الشهيد عنه في إجازته لابن الخازن: (ومنهم الإمام العلامة، سلطان العلماء، ومليك الفضلاء، الحبر البحر قطب الدين محمد بن محمد الرازي البويهى، فإني حضرت خدمته (قدس الله سره) بدمشق عام ثمانية وستين وسبع مائة، واستفدت من أنفاسه وأجاز لي جميع مصنفاته في المعقول والمنقول أن أرويها عنه وجميع مروياته..).

تلامذته

يُعرف الشهيد في الحلة بتدريسه كتاب (القواعد) للعلامة الحلبي و(التهذيب) و(علل الشرائع) وكتب أخرى في الفقه والأصول والحديث.

ولم يقتصر الشهيد على التدريس في الحلة أو جزين، وإنما كان يقوم بالتدريس في كل رحلاته إلى البلاد الإسلامية. والتف حوله طلاب العلم يدرسون عليه مناهج الاستنباط والفقه، منهم:

١ - الشيخ جمال الدين أبو منصور حسن بن الشهيد الأول، أجازته والده الشهيد مع أخويه ضياء الدين أبو القاسم علي ابن الشهيد المتوسط، وله إجازة من أبيه والشيخ رضي الدين أبو طالب محمد أكبر أبناء الشهيد أجازته أبوه مرتين.

٢ - الفقيهة الفاضلة فاطمة المدعوة بست المشايخ، تروي عن أبيها الشهيد وعن السيد تاج الدين ابن معية إجازة، وكان أبوها يثني عليها ويأمر النساء بالافتداء بها والرجوع إليها).

٣ - الشيخ محمد بن تاج الدين عبد علي الشهير بابن نجدة، أجازته الشهيد في رمضان سنة ٧٧٠ هـ، وصرح فيها بأنه سمع من مؤلفاته، وسمع منه كتاب (التحرير) و(الإرشاد) و(المنهاج) و(نهج المسترشدين) و(شرحي النظم والياقوت) للعلامة الحلي و(خلاصة المنظوم) لابن مالك و(اللمع في النحو) لابن جني و(الشرائع للمحق) و(مختصر مصباح الطوسي) وغير ذلك.

٤ - الشيخ شرف الدين أبو عبد الله المقداد بن عبد الله المعروف بالفاضل السيوري الحلي صاحب شرح الباب الحادي عشر)، يروي عن الشهيد كما في كتاب الكنى والألقاب.

مصنفاته

للسهيد الأول آثار خالدة في التأليف، لا يزال طلبة العلوم الدينية ينهلون من شتى أبوابها، كالفقه والعقائد والأدب والأصول. ومن هذه المؤلفات الخالدة.

١ - كتاب (اللمعة الدمشقية): وهو كتاب فقهي يشمل كل أبواب الفقه بصورة مختصرة، لخص الشهيد فيها جميع مسائله وأحكامه الاجتهادية. وقد ألفه الشهيد في دمشق أواخر حياته في سبعة أيام. وقد تناول العلماء هذا الكتاب بالشرح والتعليق عليه، نذكر منها: (الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية) للشهيد الثاني و(التحفة الغروية في ميراث اللمعة الدمشقية) للشيخ خضر بن شلال العفكاوي، وغيرهم من العلماء، ولا يزال هذا الكتاب يدرس في الحوزات العلمية الشيعية.

٢ - كتاب (الدروس الشرعية في فقه الإمامية): وهو كتاب جليل يشتمل على كثير من أبواب الفقه، شرع في تأليفه سنة ٧٨٠ هجرية، وفرغ من الجزء الأول سنة ٧٨٤ هـ وتصدى لهذا الكتاب العلماء بالشرح والتعليق.

٣ - كتاب (البيان): وهو أيضاً من الكتب الفقهية التي ألفها الشهيد، طبع في طهران سنة ١٣١٩ هجرية.

وللسهيد كتب ورسائل كثيرة أخرى، في جميع أبواب الفقه والعقائد، منها (ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة) و(النفلية) و(القواعد والفوائد) و(غاية المراد في شرح نكت الإرشاد) وغيرها.

شعره

المتأمل في كتب الشهيد، يلاحظ قوة الأداء والبساطة والروعة والوضوح في كل مؤلفاته، ولا يجد الباحث فيها شيئاً من التعقيد والالتواء واصطناع السجع والزخرفة البديعية.

وكما هو في نثره كذلك هو في شعره، حيث نجده يمتاز بصفاء الديباجة ودقة التعبير، وجمال التصوير، فمن

شعره قوله في المناجاة:

عظمت مصيبة عبدك المسكين	في نومه عن مهر حور العين
الأولياء تمتعوا بك في الدجى	بتهجد وتخشع وحنين
فطردتني عن قرع بابك دونهم	أترى لعظم جرائمي سبقوني
أوجدتهم لم يذنبوا فرحمتهم	أم أذنبوا فعفوت عنهم دوني

ومن شعره أيضاً:

غنيّا بنا عن كل من لا يريدنا	وإن كثرت أوصافه ونعوته
ومن صدّ عنا حسبه الصد والفلا	ومن فانتنا يكفيه أنا نفوته

ومن شعره قوله:

بالشوق والذوق نالوا عزة الشرف	لا بالدلوف ولا بالعجب والصلف
ومذهب القوم أخلاق مطهرة	بها تخلقت الأجساد في النطف
صبر وشكر وإيثار ومخمصة	وأفئس تقطع الأنفاس باللهف
والزهد في كل فاق لا بقاء له	كما مضت سنة الأخيار في السلف
قوم لتصفية الأرواح قد عملوا	وأسلموا عوض الأشباح للتلف

استشهاده

كان لتفتت الدولة الإسلامية إلى دويلات، الأثر البالغ في تفتت أواصر المجتمع الإسلامي، فنتيجة للرؤيا المصلحية الضيقة للأمرء والمتنفذين كثرت المؤامرات والدسائس والأحقاد في مراكز الحكم السياسي والديني للمجتمع.

وكان الشهيد الأول هو أحد ضحايا هذه الكارثة التي حلت بالأمة الإسلامية. فقد قتل (رحمه الله) بمؤامرة حيكّت من قبل القاضي برهان الدين إبراهيم ابن جماعة قاضي دمشق، والحاكم (بيدمر) حاكم دمشق آنذاك، خوفاً على مصالحهم من شخصية الشهيد التي اكتسحت الساحتين السياسية والدينية. قدم الشهيد إلى قاضي بيروت القاضي المالكي، للحكم عليه، وقال له: (تحكم برأيك) وهددوه بالعزل. فعقد مجلساً للقضاة حضره الملك والقضاة وجمع كبير من الناس، والشهيد (رحمه الله).

وجهت إليه التهم فأنكر ذلك فلم يقبل منه الإنكار، وقيل له: قد ثبت ذلك عليك شرعاً ولا ينتقض حكم الحاكم. فقال الشهيد (رحمه الله): (الغائب على حجته، فإن أتى بما يناقض الحكم جاز نقضه وإلا فلا، وها أنا أبطل شهادات من شهد بالجرح ولي على كل واحد حجة بيّنة. إلا أن ذلك لم يُسمع منه، وعاد الحكم إلى المالكي فقام وتوضاً وصلى ركعتين، ثم قال: قد حكمت بإهراق دمه.

ثم سيق الشهيد إلى دمشق حيث تم قتله وبعد ذلك صلب بمرأى من الناس، ثم أمروا جلاوزتهم برجم الجسد بالحجارة، ويظهر أن ذلك كله لم يطفئ الحقد الموهل في نفوسهم القذرة فأمرؤا بحرق الجسد. ومهما يمكن فقد مضى الشهيد بمآثر خالدة وأعمال جلييلة خلدهته مدى الدهر.

من قاموس الإمام الشيرازي

القانون وصلاحيته في تنظيم الحياة

حيدر البصري

مقدمة

عرّف القانون بأنه: مجموعة القواعد العامة الملزمة التي تنظم سلوك الإنسان في علاقته مع غيره، وعني بهذا الغير الإنسان.

فالقانون إذن ينظم علاقة الإنسان بغيره من بني جنسه، ولكن هل أن علاقة الإنسان ببني جنسه هي العلاقة الوحيدة التي يرتبط بها الإنسان؟

في الجواب عن هذا السؤال نقول، أن علاقة الإنسان بغيره من بني البشر ليست العلاقة الوحيدة له، وإنما هناك نوعان آخران من العلاقة هما:

١ - علاقة الإنسان بنفسه.

٢ - علاقة الإنسان بربه.

فإذا لم تكن هاتان العلاقتان مما يدخل في نطاق القانون، فما هو القانون الذي يتكفل بهما؟
إن هاتين العلاقتين من الأمور التي اعتبرها القانون شخصية بحتة لا دخل له بتنظيمها لذلك ترك القانون أمر تنظيم هاتين العلاقتين للشرعية الإسلامية.

وهناك أمر آخر تتميز به الدول الإسلامية هو أن بعض الأمور مما أطلق عليه قضايا الأحوال الشخصية يخضع الإنسان فيها للقانون الإسلامي كذلك، كقضايا النكاح، والإرث وغيرها مما ينظمه قانون الأحوال الشخصية الذي يعتمد أساساً على الشريعة الإسلامية.

فإذا كانت العلاقتان الأخيرتان - علاقة الإنسان بنفسه، وبربه - مما أوكل إلى الشريعة الإسلامية، وأهمته القوانين الوضعية، فمن هو المتكفل بإيصال الأحكام الشرعية فيما يخص هذه القضايا إلى الناس؟

إن العلماء المسلمين هم الذين تكفلوا بهذه المهمة إذ من غير المعقول أن ينبري كل الناس لمثل هذه المهمة التي دعا إليها الله تعالى في قوله: (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين..).

فأخذ العلماء مهمة إيصال الحكم الإسلامي فيما يخص هذه القضايا الشخصية إلى الناس. ولكن هذا الاختصاص قاد إلى أن يقول البعض بعدم صلاحية الدين الإسلامي، والشريعة الإسلامية إلا للأحوال الشخصية، وإلا فغير ذلك من الأمور لا بد أن تتكفل به القوانين الوضعية، فلم يرق هذا الوضع لبعض العلماء، فأثروا أن يبرزوا للناس كل ما يخص تنظيم علاقة الإنسان بغيره من بني البشر، مما ينظمه القانون الوضعي حالياً.

وفي مقدمة هؤلاء العلماء الذين كان همهم إبراز هذا الجانب للعالم، وإثبات صلاحية القانون الإسلامي في تنظيم علاقات الإنسان جميعها، وفي كل زمان ومكان سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) فلقد خاض في كل جانب من جوانب القانون وفروعه وأبرز دور الشريعة الإسلامية في تنظيمه كما سيأتي.

وبما أن فروع القانون، وتقسيماته كثيرة آثرنا أن نسير مع سماحته في تناول القانون وفق التقسيمات الحديثة لفروع القانون من خلال مؤلفاته.

تقسيمات القانون

قسّم فقهاء القانون، القانون إلى أقسام وكل قسم من هذه الأقسام يتفرع بدوره إلى فروع فعلى أساس وجود الدولة في العلاقة القانونية باعتبارها صاحبة سيادة، وعدم وجودها قسّم القانون إلى قسمين:

١ - القانون العام: وعرف بأنه (مجموعة القواعد التي تنظم الروابط التي تكون الدولة طرفاً فيها على اعتبارها صاحبة السيادة)(١).

القانون الخاص: وعرف بأنه (مجموعة القواعد التي تنظم روابط الأفراد بعضهم ببعض في حياتهم الاعتيادية، سواء تعلقت تلك الروابط بالأسرة، أو شؤونهم المالية، أو تعلقت بالدولة باعتبارها شخصية حكومية تتصرف كما تتصرف باقي الشخصيات الحكومية الأخرى في شؤون تعاقدية صرفة) (٢).

هذا هو التقسيم الأولي للقانون، وفق التقسيم الذي قام به فقهاء القانون، فماذا في جعبة سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في هذا المقام؟

لقد تناول سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) تقسيمات القانون المذكورة في كتابه القانون، وإن لم يكن تقسيمه بنفس الطريقة التي قسم بها القانون الوضعي.

فتحت عنوان (أقسام القانون) قسّم سماحته القانون بالترتيب التالي:

قوانين بلاد الإسلام على ثلاثة أقسام:

الأول: ما يعمّ المسلمين وغير المسلمين مثل قوانين المرور والصحة، وسائر الأمور العامة التي ترتبط بالدولة بما هي دولة(٣).

فوجود الدولة هنا كطرف في العلاقة القانونية يشير سماحته إلى القانون العام الذي سبق أن قدمنا تعريفه.

الثاني: ما يخص المسلمين ويترك لغير المسلمين شأنهم مثل: .. موازين النكاح والطلاق والإرث ومختلف أنحاء المعاملات..

الثالث: ما يخص غير المسلمين.. كنكاح المجوس(٤).

كما تناول سماحته تقسيمات القانون العام في نفس الكتاب تحت عنوان (القانون العام وتفريعاته).

١ - د. عبد الرحمن البزاز، مبادئ أصول القانون، مطبعة العاني، بغداد، ط ٢، ص ٢٤٢.

٢ - مبادئ أصول القانون، المصدر السابق، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٣ - الإمام الشيرازي، القانون، مركز الرسول الأعظم، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨، ص ٢٤٢.

٤ - القانون، مصدر سابق، ص ٢٣.

وذلك في الصفحة ٣٥٨ منه.

تفريعات أقسام القانون

سبق أن قلنا بأن كل قسم من قسمي القانون المتقدمين يتفرع عنه فروع من القوانين وحسب الترتيب التالي:

فروع القانون العام

يتفرع القانون العام إلى:

١ - القانون الدولي العام.

٢ - القانون الدستوري.

٣ - القانون الإداري والمالي.

٤ - القانون العقابي وقانون المرافعات العقابية.

تناول سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) هذه التقسيمات بالترتيب المتقدم مستنداً في ذلك إلى المشروع الوضعي قانلاً: (إن واصفي القوانين قسموا القانون العام - على اصطلاحهم - إلى أربعة فروع:

١ - القانون الدولي العام. ٢ - القانون الدستوري. ٣ - القانون الإداري والمالي. ٤ - القانون العقابي وقانون

المرافعات العقابية).

ولم يفت سماحته هنا من توجيه بعض الانتقادات للقانون الدولي الذي يتساوى فيه - من ناحية التمثيل الدولي - بلد مثل الهند أو الصين مع دولة أخرى ليس لها نفوس الدولتين المتقدمتين فيقول: (.. فدولة لها ألف مليون نسمة يجب أن يكون لها ألف رأي، ودولة لها مليون نسمة يلزم أن يكون لها رأي واحد وهكذا إلى غير ذلك) (١).

تفريعات القانون الخاص

قسم فقهاء القانون، القانون الخاص إلى أقسام هي:

١ - القانون المدني.

٢ - القانون التجاري.

٣ - قانون المرافعات المدنية والتجارية.

٤ - القانون الدولي الخاص.

أما سماحته (دام ظله) فلم يجري مع هذا التقسيم كما فعل مع القانون العام، ولكنه لم يهمل جانب هذا القسم فقد تطرق إلى ذلك في كتابه القانون تحت عنوان: (القانون والتقييمات الثانوية تارة، وبصورة منفردة تارة أخرى).

فتحت العنوان الأول يقول سماحته: (وإن أخذت - يعني الدولة - باعتبارها شخصية حكمية تتصرف كما

١ - القانون، مصدر سابق، ص ٣٥٩.

تتصرف سائر الشخصيات الحكيمة الأخرى في التعاقد كتصرف الجمعيات والأحزاب والهيئات، كانت من مصاديق القانون الخاص.. أما القانون الخاص فاهتمامه بمصالح الأفراد، أو كأفراد من الشخصيات الحكيمة، وما يشبه هذا الشيء موجود في الشريعة باسم (حق الله)، (وحق الناس) (١).

ثم أنه تناول فروع بعض القانون الخاص بصورة منفردة حيث تناول موضوع: (قانون الترافع) الذي خاض سماحته في شرح قواعده العامة ممهداً لذلك بقوله: (من فروع مسألة القانون التي تتطلب الإشارة إليها - وإن كان محلها كتاب القضاء - لكثرة الابتلاء بها في العصر الأخير: هي مسألة ترافع المسلمين وغير المسلمين بمختلف أبوابه إلى قضائنا (٢)).

لقد تدرج سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في تناوله لمفهوم القانون، فلم يغادر أمراً إلا وبحث فيه ابتداءً من تاريخ القانون، وانتهاءً بتناوله للقوانين الخاصة كما سيأتي ذكره. ولكن يمكن القول إن الكتب التي سلط سماحته الضوء فيها على القانون بصورة مركزة هي:

١ - كتاب القانون.

٢ - الفقه.. القضاء.

٣ - الفقه.. المرور.

فعن تاريخ القانون الذي يعد موضوعاً تاريخياً قانونياً تناول سماحته في كتاب القانون القوانين القديمة من مثل قانون (بلالاما) ملك العراق ص ٣٧٣، والقانون الآشوري ص ٣٧٦، وقانون بوكخوريس ص ٣٨١، والقانون اليهودي المنسوب إلى موسى ص ٣٨٢، وقوانين بوذا ص ٣٨٤، وقانون حمورابي ص ٣٨٥. وبحث سماحته في الحاجة إلى القانون مبدئياً أسباب ذلك في قوله: (إنما احتاج الإنسان إلى القانون لأنه إنسان، له حوائج فردية واجتماعية في مختلف الجوانب. وليس كما قال الإغريق: لأنه مدني بالطبع) (٣). فانتقد النظرية السائدة والشائعة على لسان الباحثين، وفقهاء القانون من أن الإنسان يحتاج إلى القانون لأنه مدني بالطبع أي يميل إلى العيش في جماعة وينفر من الحياة الفردية.

القانون الدستوري كما تناوله الإمام الشيرازي

تناول سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) القانون الدستوري في كتابين من كتبه، وأشار إليه في بعضها، ولكن بحثه في كتابي القانون، والسبيل إلى إنهاض المسلمين كان بديناً ودقيقاً. ففي كتاب السبيل إلى إنهاض المسلمين تناول سماحته شكل الحكم وأقسامه، بحثاً ونموذجاً من خلال الإشارة إلى نموذج الحكم من كل من حكومتي الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وأمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فعن أقسام الحكم يقول سماحته: (الحكم أما أن يكون وراثياً يرثه الأقرباء عن أقربائهم، وأما أن يكون

١ - القانون، مصدر سابق، ص ٣٥٦.

٢ - القانون، مصدر سابق، ص ١٢٤.

٣ - القانون، مصدر سابق، ١٠٣.

انقلابياً، حيث يقوم جماعة بالانقلاب على الحكام والملوك محلهم، وأما أن يكون انتخابياً ينتخبه الناس (١). ثم شرع سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) في ذكر مساوئ كل من الحكم الوراثي، والانقلابي مشيداً بالحكم الانتخابي فيما لو كان حكماً انتخابياً حقيقياً.

بعد ذلك تناول ما من شأنه الحد من ميل الحكام وطغيانهم فأشار إلى ضرورة وجود الأمرين التاليين:

١ - وجود سلطة عليا من الفقهاء.

٢ - تقييد الحكم بأن يكون في الإطار الإسلامي، ولذا فمجلس الأمة إنما هو للتطبيق لا للتشريع (٢).

قانون الأحزاب في فكر الإمام الشيرازي

تناول الإمام الشيرازي (دام ظله) في كتابه (الشورى في الإسلام) بالإضافة إلى طبيعة الحكم الإسلامي القائم على أساس الشورى وكيفيته، ما يسمى اليوم بـ(قانون الأحزاب) تناول فيه ما يتعلق بالأحزاب من شكلها وطبيعتها، وعملها، وأنواعها، وغير ذلك من الأمور.

فعرّف سماحته الحزب بأنه (فريقاً، أو مجموعة من الناس الذين لهم تفكير واحد، وهدف واحد.. وتوجد في القرآن الكريم سورة باسم (الأحزاب) يقول الله سبحانه وتعالى في الآية (٢١) من نفس هذه السورة: (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) (٣).

القوانين الخاصة في الإسلام

هناك في القوانين الوضعية فروع من القانون تسمى القوانين الخاصة، وهي تسمى كذلك لكونها تتناول بقانون خاص بعيداً عن القوانين المعمودة والتي سبقت الإشارة إليها، ومن هذه القوانين قانون المرور، قانون العمل، قانون التأمين إلى غير ذلك من القوانين الخاصة.

يعتقد البعض أن من قصور القانون الإسلامي عدم تناوله لمثل هذه القوانين، ولذلك استدل هذا البعض على مزاعمه بخلو القانون الإسلامي عن مثل هذه القوانين. ولكن هل هذا الزعم صحيح؟

لقد كان في كتاب (الفقه المروى) المؤلف من ١٦٤ صفحة من القطع الكبير رد قاطع على أمثال هؤلاء حيث تناول سماحته جميع ما يتعلق بقانون المرور وفق الرؤية الإسلامية، وفي هذا دليل على صلاحية تطبيق القانون الإسلامي حيث الشمولية والاستيعاب، وصلاحية التطبيق لكل زمان ومكان.

لقد تناول الإمام الشيرازي موضوع المرور من خلال محاور أربعة هي:

١ - قواعد عامة لاستنباط فروع المرور.

٢ - قوانين المرور.

٣ - أحكام المرور.

١ - الإمام الشيرازي، السبيل إلى إنهاء المسلمين، مؤسسة الفكر الإسلامي، بيروت، ط٨، ٢٠٠٠، ص ٢٣٩.

٢ - السبيل إلى إنهاء المسلمين، المصدر السابق، ٢٤١.

٣ - الإمام الشيرازي، الشورى في الإسلام، مؤسسة الوعي الإسلامي، بيروت، ط١٠، ١٩٩٩، ص ٩٩.

٤ - آداب المرور.

إجمالاً يمكن القول أن الإمام الشيرازي (دام ظله) تناول أغلب بحوث القانون خلال العديد من كتبه سواء المختصة بالقانون ككتابي القانون والفقه والقضاء أو غير المختصة مما يصعب في هذه العجالة الخوض فيها تفصيلاً ولكن لمن يود الاستفادة ندرج بعض الكتب التي تناول سمacht القانون فيها وهي:

١ - القانون.

٢ - الفقه القضاء.

٣ - الفقه المرور.

٤ - ممارسة التغيير.

٥ - الصياغة الجديدة.

٦ - السبيل إلى إنهاء المسلمين.

٧ - إذا قام الإسلام في العراق.

٨ - الفقه الحقوق.

مقالات

الإسلام والغرب..

من قطيعة الماضي إلى حوار الحاضر والمستقبل

أحمد البغدادي

المقدمة

في مفهومَي القطيعة والحوار، لا تتأسس على أرضية الأول إلا صورة التباعد المصحوب بالتوتر، واختزان المشاعر السلبية، والاحتقان، وتبلغ الذروة عند الاحتكاك الذي يولد انفجاراً يكشف عن كافة المواقف.. وعلى أرضية الثاني تتأسس علاقة وطيدة من الثقة والوضوح والمحبة والتقارب الذي يكاد أن يكون احتفاءً بالآخر وتفهماً له..

تلك الثنائية المتناقضة حكمت بوجهها الأول علاقة الغرب بالإسلام لفترات طويلة، ولا زالت تحكم، ولم يستثمر الوجه الثاني من العلاقة بين الإسلام والغرب..

ولم تكف هذه الإشكالية يوماً عن التفاعل والتجاذب، وهو ما ولد الكثير من الأحداث، وهي وإن كانت صعبة التجاوز، إلا أنها ليست مستحيلة أمام إرادة الإنسان، لصنع مستقبل أكثر إشراقاً، يسوده التفاهم ولغة الحوار، واليد الممدودة بغصن الزيتون.

مشاهد تاريخية

سادت علاقة الإسلام والغرب قاعدة الفعل ورد الفعل، أو الهجوم والهجوم المضاد، في لوحة واضحة المعالم، وعلى فترات زمنية متقاربة نوعاً ما.. وفي هذه المشاهد نحاول تقديم بانوراما مختصرة عن تلك العلاقة: في عام ٧١١م تعرف الأوروبيون على الإسلام الفاتح، من خلال سقوط أسبانيا والبرتغال بأيدي المسلمين، وتقدمهم إلى جنوب فرنسا، حيث دارت معركة (بلاط الشهداء) سنة ٧٣٢م، وعدم انتصار المسلمين فيها (١). وفي عام ٨٣١م استولى المسلمون على صقلية وحكموها نحو ٢٨ عاماً (٢)، ونزلوا في مالطا عام ٨٦٩

١ - حوار الحضارات: روجيه غارودي ص ٩٩.

٢ - المسلمون في صقلية: مارتينو ماريو ص ٩.

م(١)، ودخلوا قسماً من الأراضي السويسرية عام ٩٢١م ولبثوا فيها حتى عام ٩٨٠م(٢).

وفي عام ١٠٦٠م بدأ هجوم الأوربيين المضاد في صقلية، لغرض استرجاعها من أيدي المسلمين بقيادة (روجار الأول) (٣).

وفي عام ١٠٨٥م بدأ الأسبان حربهم لاسترداد أسبانيا والبرتغال.. فسقطت طليطلة ومعها مواقع أخرى على يد (ألفونسو السادس).

وفي عام ١٠٩٩م استولى الملك الصليبي (غودفروادوبويون) على بيت المقدس، موجهاً ضربة قاضية إلى نفوذ الأمراء السلاجقة(٤)، الذين أطلق عليهم (توماس آرنولد) اسم الكفار المتبربرين(٥)..

وفي عام ١٤٥٣م استأنف المسلمون - بعد أن أصبحوا في مواقع الدفاع - هجومهم من جديد، عندما سقطت القسطنطينية بيد محمد الفاتح (٦)، وحاصر الجيش العثماني (فيينا) عام ١٥١٩م (٧).

عام ١٤٩٢م أسقط الأسبان بقيادة الملكين (فرديناند وإيزابيلا) آخر خط دفاعي للمسلمين في الأندلس (غرناطة) التي سماها الباحث الألماني (إرنست كونل) بـ(حصن الإسلام الأخير) (٨) في أوربا.. وبسقوط غرناطة انتهى الوجود السياسي والعسكري للمسلمين في أسبانيا والبرتغال(٩)..

عام ١٧٩٨م شنّ الغرب هجوماً مضاداً ثانياً، حين نزل نابليون بونابرت مصطحباً عدداً كبيراً من الخبراء والتقنيين والعلماء، وكانت تلك الحملة أول مشروع، لم يكتب له النجاح لتأسيس أول دولة غربية الطابع في الشرق على أراضي الدولة العثمانية (١٠)..

عام ١٨٣٠م احتل الفرنسيون الجزائر، وانحسر النفوذ العثماني انحساراً كلياً عن شمال إفريقيا(١١)..

عام ١٨٨٢م وعام ١٨٩٧م احتلت الجيوش البريطانية مصر والسودان على التوالي.

وفي عام ١٩١٧م دخلت جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الأولى بيت المقدس.

عام ١٩٤٨م أنشئت الدولة اليهودية في فلسطين.

-
- ١ - م.ن ص ٢٥.
 - ٢ - الفتوحات الإسلامية في فرنسا وإيطاليا وسويسرا: جوزيف رينو ص ١٧٣.
 - ٣ - جاذبية الإسلام: مكسيم رودنسون ص ١٨.
 - ٤ - تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكمان ص ٤٦٣.
 - ٥ - الدعوة إلى الإسلام: توماس آرنولد ص ٥٦.
 - ٦ - فلسفة الاستشراق: أحمد سمايلوفيش ص ٤٤.
 - ٧ - المستشرقون الألمان: آنا ماري شمل ج ١ ص ٢٧.
 - ٨ - الفن الإسلامي: إرنست تونل ص ١٢١.
 - ٩ - تاريخ الحضارة الإسلامية: بارتولد ص ٩٤.
 - ١٠ - المستشرقون والتاريخ الإسلامي: علي حسن الخربوطلي ص ٩١.
 - ١١ - خلاصة تاريخ العرب: سيديو ص ٢٨٨.

الصورة النمطية للإسلام في الفكر الغربي

سادت نتيجة لتلك الأحداث والوقائع بين الإسلام والغرب، والمتمثلة بهذا الاحتكاك المسلح غالباً، صور نمطية للإسلام في التفكير الغربي، منذ العصر الوسيط وحتى اليوم. وتلك الصورة النمطية لم توفر شيئاً إلا وأدخلته ضمن إطارها؛ بدءاً من الوحي والنبوة إلى القرآن الكريم، مروراً بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وسيرته الشريفة، حيث برزت التسميات العديدة والتي ما انفكت تنتج آثارها في كافة الميادين؛ من كتاب أو قصة ورواية أو بحوث أكاديمية!!).

وقد توزعت تلك التسميات بين الاستشراق ودراسة الحالة الإسلامية وعلم الإسلاميات (١)، وهذه التسميات والتي شكلت منهج الخطاب المعرفي الغربي ونظراته وفهمه للإسلام، يمكن اختصارها في ثلاثة أعمدة رئيسية: أولاً: ظاهرة الوحي في المنظومة الفكرية الغربية: انطلاقاً من إحدى أهم الركائز الإسلامية، عمد الباحثون الغربيون في التاريخ والحضارة والعقائد الإسلامية، إلى مهاجمة هذه الركيزة الأساسية، ونفي نزول الوحي الإلهي على صدر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) من خلال تفسيرات مختلفة، منها أن (الوحي هو مجرد حالة إبداع فني أو فكري يمر بها الفنانون أو المفكرون والعباقرة)، ويذهب بعضهم في هذا التحليل غير الواقعي إلى حد الزعم بأن (الوحي المنزل على مراحل ما هو إلا استيهامات أو تهويمات باثولوجية أو نوبات لرجل عصابي عقري ذي طبيعة ومزاج سوداويين (٢)!!).

ومن تلك الترهات التي تنم عن ضالة المعرفة أو معاندة الحق، زعمهم أن (الوحي عبارة عن خدع الحواس، وحيل الروحانيين، ومارسها الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) بدقة وإتقان، وكان يعقد في دار الأرقم بن أبي الأرقم جلسات روحانية، أما المحيطون به فيؤلفون جمعية سرية، تشبه الماسونية، ولهم كلمات سر للتعرف بينهم مثل السلام عليكم، وعلامات يتميزون بها كإرسال طرف العمامة بين الكتفين - كما يعبر مارجليوث - (٣)!!).

وتفسير أخرق آخر: (إن القرآن عبارة عن قصيدة ملحمية دون رباط ولا نظام ولا فن، ويقال رغم ذلك أن هذا الكتاب الممل هو كتاب جميل جداً - على حد تعبير فولتير في القاموس الفلسفي - (٤)).

أو (إن القرآن هو مزيج انتقائي من المبادئ الدينية التي اكتسبها محمد، من العلاقات التي أقامها مع أشخاص من يهود ونصارى ومجوس، وبالتالي فهو مجمع أفكار يهودية ونصرانية ووثنية) (٥)!!).

أو بحسب افتراء (توربين) في (قصة حياة محمد): (إن القرآن عبارة عن سحابة سميكة مظلمة تنبثق منها أحياناً بعض الإشراقات (٦)).

١ - محمد اركون: مجلة الفكر العربي المعاصر ج ١ ص ١٨.

٢ - تاريخ مسلمي أسبانيا: وينهرت دوزي ج ١ ص ١٨.

٣ - أوروبا والإسلام: عبد الحليم محمود ص ٨٨.

٤ - عربي، هل قلت عربي: محمد قاسي ص ٦٥.

٥ - الإسلام والغرب: د. سمير سليمان ص ٣٥.

٦ - عربي: مصدر سابق ص ٦٦.

إن تلك التفسيرات الجزافية للوحي والقرآن، تهدف أساساً إلى تقويض العقيدة الإسلامية الحقّة بشكل مطلق؛ لأن القرآن بما هو وحي مطلق، والسنة بما هي تمثّل النبوة، فإن بطلان الوحي القرآني يستدعي معه بالضرورة بطلان جميع لوازمه، وفي المقدمة منها السنة النبوية الشريفة.

إن هذا الفهم المغلوط لمسألة الوحي في الإسلام، يقود في النهاية إلى نتيجة أقل ما فيها الابتعاد عن فهم الإسلام كله.

الرسول الأكرم (ص) في المنظومة الفكرية الغربية

بعد العمل على تقويض البنية الأولى للإسلام وهي الوحي، يعمل أكثر الباحثين الغربيين على إثارة الشبهات حول حقيقة نبوة الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وحول شخصيته العظيمة، بغية النيل منه والانتقاص من قدره، فيتحول بالتالي - عندهم - إلى (مدعي نبوة) و(صاحب نزوات) و(جامع أفكار) لا أكثر!!، وهي تخرصات تُفصح عن أمراض وأغراض في نفوس أصحابها ليس إلا، وهي لن ترق إلى مستوى بحيث يمكن أن تنال من حقائق الإسلام الكبرى.

فالصورة التي ينقلها (بودجي) في (التاريخ العام لديانة الأتراك) المؤلف عام ١٦٣٢م، هي - وفق مخيلته المريضة -: كان طويل القامة بما فيه الكفاية، ذا لحية طويلة قليلة البياض، رغم السنين، لأنه كان يصبغها، كما يفعل العديد من الشيوخ في الوقت الحاضر، أما وجهه الأبيض ذو الخدود المتوردة فيعطينا الدليل على أن جسمه كان أجمل من روحه بكثير.. (١).

أما (لامارتين) في كتابه (عظماء الشرق) فيقول في افتراءه: (كان الجمال يهيمن على أحاسيسه، ولم يكن يتصور المباحج الخالدة إلا على شكل امرأة) (٢)!

أو بزعم آخر (بيدي في حياته اليومية، حلماً وعطفاً وإخلاصاً وكرماً وتسامحاً، ثم نراه يظهر فجأة، مشاعر الكراهية والرغبة في الانتقام والقدرة على القيام بحركات غاضبة وتصرفات شرسة) على حد تعبير (دوموميين) (٣).

ويتحول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) عند بعضهم - ومنهم (جولدزيهر) - إلى (رجل غريزي.. ليشكل بذلك ظاهرة فريدة من نوعها بين الأنبياء والرسل السابقين كما صورهم القرآن نفسه) (٤).

من خلال هذه النمطية المختلفة قرأ الخطاب المعرفي الغربي شخصية الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، حتى تحول عند الكثيرين منهم إلى (مصلح اجتماعي ذي توجه أرستقراطي..)، وبذلك يختصر إلى (مجرد شيخ قبيلة حاذق أو إلى مثيل للقديس بولس) كما وصفه (أوغست كونت) (٥) ..

١ - م.ن ص ١٢٣.

٢ - م.ن ص ١٢٤.

٣ - الإسلام والغرب: ص ٢٨.

٤ - م.ن ص ٢٨.

٥ - تاريخ مسلمي أسبانيا: دوزي ص ١٨.

إنجازات الحضارة الإسلامية

في الحديث عن الإنجاز الحضاري الغربي يزعم أكثر صانعي الخطاب المعرفي الغربي بأن هذا الإنجاز يعود في جذوره إلى منبعين رئيسيين؛ أولهما التراث اليوناني، والثاني هو التراث اليهودي المسيحي، ونادراً ما حصل الاعتراف بفضل الإسلام والمسلمين، تأسيساً أو تكويناً.. فعلماء المسلمين - عند المستشرق الفرنسي (كارادوفو) - يفتقرون إلى العبقرية الكافية للتصميم والإبداع العظيم، ويمتازون بالتفكير الواقعي، لذلك كان لعلومهم هدف مادي (١)!!.

أما (رينمهرت دوزي) فيدعي في وصفهم أنهم: (أقل أهل الأرض خيلاً، وينقص أدبهم الاختراع، إنهم لا يحملون في أنفسهم جرثومة التطور والتقدم) (٢)..

هذا ما ساد - طيلة قرون عديدة - نظرات الغرب للإسلام.. وقد تمخضت عن هذه النظرة الكثير من الأحداث على أرض الواقع، حتى أصبح الاستعلاء، والنظرة الفوقية هي الحاكمة في علاقة الغرب بالعالم الإسلامي، ناهيك عما جرته تلك النظرة من مأس ما زال المسلمون يكتونون بنارها وشرارها.. فهل كف الغرب يوماً عن تلك النظرة السلبية القاتمة، وعن تلك الصورة الجاهزة في مخيلته إلى الإسلام والمسلمين؟! واقع الحال يكشف عن استمرارها ولكن بوسائل أخرى.

ففي عام ١٩٩٠م أنتجت شركة (ميراماكس) التابعة لـ (والث ديزني) фильماً أسمته (عملية الكوندور) حيث الجميع بمن فيهم الأمم المتحدة يبحثون عن ٢٤٠ طناً من الذهب المسروق، الذي جيء به إلى مكان ما من الصحراء العربية.

(الأخبار) يمثلهم بطل الفيلم ورفيقاته، أما الأشرار فهم مجموعة من المرتزقة، مثل صاحب الخان الجشع الذي يرتدي الطربوش، وتجار الرقيق الأبيض من البدو، واثنين من المسلمين العرب، وهما ينطقان بلغة إنكليزية غير سليمة، بينما يرتديان بيجامات مهترنة وأغطية رأس منقوشة بالمربعات، تشبه أغطية مائدة مسروقة من أحد مطاعم البيتزا!!..

ويؤدي العربيان (الأبلهان) اللذان يُلْقَبَان بـ(مصاصي الدماء) دوراً مصمماً على إثارة الضحك، ويهزأ كلاهما بالإسلام، ويقولان: (لن نكف أبداً عن النضال من أجل الجهاد) و(الحمد لله لأنه سَلَمَكَ (البطل) إلينا مرة أخرى) (٣).

هذه الصورة وغيرها التي اختزنها المسلمون في ذاكرتهم، إضافة إلى الدماء الغزيرة التي نزفت دفاعاً عن المقدسات الإسلامية ضد الغرب الغازي، والذكريات المريرة التي تركتها طرق التعامل مع قضاياهم المصيرية، تستدعي التساؤل عما إذا يمكن خلق مناخ للحوار، ومد جسور للتفاهم، رغم التناقضات والتنافرات العديدة بين كيانين حضاريين هما الإسلام والغرب؟

١ - أثرات الإسلام: كاردوفو ص ٥٦٤.

٢ - تاريخ مسلمي أسبانيا: دوزي ص ١٨.

٣ - جريدة الشرق الأوسط: ١٧/أيلول / ١٩٩٧م.

ربما أمكن ذلك عبر الانطلاق من القواسم المشتركة بينهما، والتي هي - على وجه الدقة - قواسم مشتركة بين الأديان السماوية الثلاث الإسلامية واليهودية والمسيحية؛ ولعلّه يمكن تحديد تلك القواسم المشتركة بما يسميه علماء الأصول بالضروريات الخمس، وهي حفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال وحفظ الدين، وهذه الضروريات هي التي ابتعث الله تعالى الرسل والأنبياء، من أجل تثبيتها وترسيخها في نفس كل إنسان على وجه الأرض.

وقد أكد الإسلام على تلك القيم والضروريات بنصوص عديدة، والتي نجد صداها الآن في شرعة حقوق الإنسان، والتي نرى الكثير منها متضمناً في أحكام الشرع الإسلامي المقدس، وفق مفاهيمه المتميزة وبتفصيل وافٍ في الكثير من الموضوعات؛ بحيث لم يترك الدين القويم أية خصلة فيها إصلاح شأن الإنسان، في معاشه ومعهده، إلا وأكد عليها، وأثبتها في شرعه الذي لا يداخله الباطل في مطلق الأحوال. وفي غير هذه الحقوق، يمكن تحديد ثلاثة منطلقات للحوار بين الإسلام والغرب، هي الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل، ونبذ العصبية والكراهية.

فالاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاور، هو المنطلق الأول الذي يجب أن يركز عليه أي حوار، وهذا يفترض وجود قواسم مشتركة تكون إطاراً عاماً، وأرضية صلبة للحوار الهادف الذي ينفع الناس، وباجتماع الاحترام المتبادل والإنصاف والعدل، تتوافر قاعدة ثالثة هي نبذ التعصب والكراهية.

ومن خلال الحوار يمكن أن نخلق تفاعلاً حضارياً، ونوجد مناخاً يكرس حالة التكاشف وينفي التدافن والاستعلاء الفارغ الذي غالباً ما يأتي من الطرف الآخر الذي يشعر أنه يمثل مركز القوة، وهو شعور يولد الفساد، وإنما نعني بالطرف الآخر الغرب.. هذا التفاعل الحضاري يستند في الفكر الإسلامي إلى مبدأ (التدافع الحضاري) وهو التدافع الذي يفرض إذا ما جرى ضمن الشروط الآتفة الذكر، عن انتخاب الأصلح، دون الصراع الحضاري الذي يعني العدو على حقوق الآخرين، وبخس أسيانهم.

ولا يخفى أن التدافع مبدأ قرآني أصيل نجده في قوله تبارك وتعالى: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (١).

وقوله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (٢).

حوار الحضارات

لا بد أن نشير في هذه الشبهة من البحث أن هناك مقارنة للموضوع (الإسلام)، تتم عن اعتلال صارخ في نظرات الطرف الآخر، هذه المقاربة تفترض لأسباب ليست عسيرة على الأفهام، أنه لا بد من وجود عدو للغرب، يبرر به خططه وبرامجه، ويبني عليه سياساته في الساحة العالمية؛ فهي مقارنة ترى أن الأسباب الجوهرية لمشكلة الغرب مع البلدان الإسلامية، تكمن في ماضي الغرب الكولونيالي الإمبريالي.

وبناءً على ذلك يعتبر الإسلام - بطبعه - معادياً ثقافياً للغرب، الأمر الذي يؤدي إلى صدام الحضارات!.

١ - سورة البقرة: ٢٥١.

٢ - سورة فصلت: ٣٤.

والنقاش يدور اليوم على نطاق واسع حول العلاقة بين الثقافات، وهذه العلاقة ليست تناحرية بالضرورة، لا بل أنها تستحث ضرباً من التعايش؛ إذ أن حقيقة التفاعل حقيقة لا مفر منها، حتى وإن كان تفاعلاً متغيراً ومتنوعاً، يعكس حاجات سياسية واجتماعية.. وفي الشرق الأوسط المعاصر ليس من مجتمع محصن ضد السياق الخارجي - ونفس هذه النظرة تنطبق على سائر الساحات والبياديين المفتوحة في الغرب - حتى وإن كان ذلك المجتمع محافظاً.. والسؤال هو: كيف سيكون رد فعل المجتمعات المنغلقة على المتغيرات في العالم الخارجي؟ وهل سيكون بمقدورها أن تستجيب لها استجابة خلقة؟!.

لا جرم أن النقاش والحوار يدور حول قضايا تحليلية وأخلاقية، وهي من المؤكد خلافية - غالباً - بين الشعوب والثقافات؛ ففهم العالم المعاصر يختلف اختلافاً بيناً بين الشرق والغرب، ولا بد هنا من إدراك اللامساواة الصارخة بينهما واستمرار ترابية القوة، وكلا هذين العاملين يحددان طبيعة الخلاف في نظرة كل منهما (الشرق والغرب) إلى كثير من القضايا المختلفة، وعلى ذلك كان من الضروري إدراك التأثير المتواصل لحقبة الهيمنة الإمبريالية في الشرق الأوسط. إن إدراك أثر هذه الهيمنة، وكذلك الاختلاف الثقافي الواسع بين الشرق والغرب، لا ينبغي أن يقود إلى عدم مناقشة القضايا المشتركة بين الشرق والغرب، والتوصل إلى حلول وسط مقبولة لدى الطرفين، ولعل من المفيد التركيز هنا بأن ثمة فضاء سياسياً مشتركاً (الديمقراطية وحقوق الإنسان) هو نتاج إنسانية مشتركة، وانتماء مشترك إلى نظام اقتصادي ومناخ سياسي عالمي أوجدته الحداثة، كما أن تجاوز نظام التراتبية العالمي لا يكون ممكناً إلا على أساس مثل هذا التطلع إلى قيم مشتركة، فالنزاعات التي تباعد بين الشعوب والأمم، لا تدور أساساً حول القيم والحضارات بل حول المصالح والنفوذ والزعامات.

وسواءً شهدت الألفية الثالثة حوار الحضارات أم تصادم الحضارات، أو ربما مزيجاً من الأمرين، فالتفاعل بين الحضارات لا يقتصر على الصدام أو الحوار، بل هو مزيج من الصدام والحوار، من التنافس والتعاون، من الأخذ والعطاء.. (هذا التفاعل بين الحضارات يركز عقول المفكرين على شيء واحد هو أن المجتمعات الإنسانية عليها أن تفكر وتتفاعل مع بعضها البعض، بطريقة عقلانية من أجل التقدم، ومن ثم فإن من يؤمن بأنه في البدء كانت الكلمة، فإن عليه أن يقبل كضرورة منطقية، أن الكلمة لا قيمة لها بدون الفكر والعقل) (١).

والى ذلك يجدر بنا أن نشير إلى أن أهم القضايا الأساسية لحوار الحضارات، يمكن أن نجملها في عدة أمور منها:

- ١- إذا كان الحوار ينطلق من وجود اختلافات على مستوى الأفكار والقيم، وكذا الأنماط المعرفية والمنهجية، فإن الهدف منه يكون بالضرورة الوصول إلى حقائق يلتزم بها طرفا الحوار.
- ٢- ينبغي تحديد مفهوم الحضارة في قواعد وأسس ثابتة، لمعرفة الرؤية تجاه الكون وتجاه الآخر المنتمي لحضارة مختلفة.
- ٣- الاعتراف بأن الاختلاف ضرورة وسنة من سنن الوجود، وأن الاختلاف والتنوع غايته التعارف والتعايش.
- ٤- احترام حق الاختيار الحضاري، بعيداً عن الإكراه، سواء بالجبر والقهر أو بالغزو الفكري وتزييف

الوعي.

- ٥- أن يتم التحوار حول الأسس والعوامل الحقيقية وليس النتائج.
- ٦- إعلان التعايش والتعاون بدلاً من الصراع، والنظر إلى الآخر بشكل يضمن حريته وكرامته.
- ٧- إن رسالة الإسلام عالمية تنفي أية نظرة أو أطر عنصرية وقومية وإقليمية، ولم يعترف الإسلام في تاريخه بمفهوم التصادم الحضاري الشامل.

٨- إن حوار الحضارات يعني ضمناً الاعتراف بوجود حضارات متعددة ومختلفة (١).
إن أهم ما يميز المرحلة التاريخية الراهنة، هو تصارع الحضارات، رغم ثبوت مظهر هذا التصارع وبروز عوارضه، ولعل من ذلك محاولة وقوف الفكر الروحاني في وجه دعاة الإنتاجية المادية.. فعلى العالم الإسلامي اليوم أن يعي أن الغرب يواجه نفس الأفق الغامض الذي يواجهه عالمنا العربي والإسلامي.. كما أن المسلمين مطالبون اليوم بالتعريف بما لديهم لأجل الخروج من هذه الأزمة العالمية، هذه هي العطاءات التي يمكن عبرها أن تتبلور الهوية الإسلامية المتميزة والفاعلة.

إن معضلات العصر تتلخص في: ظاهرة الافتقار إلى البعد الروحي، وظاهرة تفاحش الثورة الإنتاجية، وظاهرة الحرمان الاجتماعي.. والإسلام مطالب بمعالجة هذه الظواهر المرضية، وتقديم الحلول الناجعة لها، كمشروع مستقبلي يعزز الهوية الإسلامية الواقعية. إن الحديث عن هوية إسلامية يعني قبل كل شيء ترتيب البيت الإسلامي من الداخل، ومعالجة جميع قضاياها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية معالجة حقيقية وشاملة، وأن نكون بعد ذلك مستعدين فكرياً ونفسياً للتفاعل مع الآخرين، وأن نأخذ بقدر ما نعطي، ونؤثر ونتأثر، رافضين - في جميع الأحوال - ما يراد أن يفرض علينا بدافع مركب الاستعلاء ومتكيفين مع عصرنا - أخذاً وعطاءً - بدون مركب نقص (٢).

إن الإسلام يؤمن بالتعددية، وينتصر للتعايش بين الشعوب والحضارات، وعليه فلا مجال للتصادم الحضاري، خصوصاً إذا أقلعت الدول الغربية عن منطق التهديد العسكري لباقي المجالات الجغرافية والحضارية الأخرى.
وعلى الرغم من وجود تاريخ حافل بالصراع بين الإسلام والغرب (حروب صليبية، استعمار حديث) فإن هناك حاجة ملحة لحوار أكثر فاعلية ومعنى وشمولية، بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، للتوصل إلى فهم أفضل لتطلعات وأهداف بعضهما البعض، وتمهيد السبيل نحو سعي مشترك وراء إجماع على النموذج الجديد (٣).

هذا وإن كان الإسلام يمثل ظاهرة أخلاقية - عقائدية - ثقافية مثالية، فإن مبادئ العلمانية والفردية والتحررية السياسية والقومية تمثل السمات المميزة لنظام القيم الغربي.

وإذا كانت العلاقة بين العالمين الإسلامي والغربي قديمة، فإن الجدل الحالي حول وضع هذه العلاقة الآن، يأتي ضمن سياق التطورات الفكرية والسياسية التي حدثت، وخصوصاً إثر تفكك الاتحاد السوفييتي سياسياً،

١ - مجلة الكلمة: العدد ١٠ / ١٩٩٦م (المسلمون وحوار الحضارات في العالم المعاصر).

٢ - مجلة الكلمة: العدد ١٠.

٣ - مجلة الكلمة: العدد ١٠.

وتراجع الشيوعية كعقيدة ونمط اقتصادي واجتماعي، حيث راح بعض الاستراتيجيين الغربيين ينظرون للإسلام وعالمه السياسي، كعدو جديد ومرتبب، وبدأ الحديث يدور حول صدام الحضارات!! (١).

وإلى ذلك يمكن تلخيص التحديات التي تواجه الإسلام في الساحة العالمية، بما يلي:

١- الغزو الفكري الذي يعمل على تشويه صورة الإسلام وتعاليمه، وبالتالي يهدف إلى التشكيك في مستقبل المسلمين.

٢- التربية وفق الصيغة العلمانية، والتي تظهر في المدارس الأهلية المنتشرة في العالم الإسلامي اليوم.

٣- تذويب الشخصية الإسلامية بشتى الطرق والأساليب.

٤- إحلال عناصر ثقافية جديدة بدلاً من الثقافة الإسلامية (٢).

لكننا - مع ذلك - نستطيع العثور في الوعي الثقافي الغربي على عناصر جوهرية مشتركة مع الثقافة الإسلامية؛ مثل العقلانية وجوهرية الحقوق وحرية الفكر، وهي عناصر يمكن أن تبني جسراً عفويّاً مع العالم الإسلامي. إن بناء العلاقة المفترضة بين (الشرق) و(الغرب) وهو محك جديد بالنسبة للعالم الإسلامي، وهو فرصة مهمة وخطيرة في نفس الوقت، أمام العالم الإسلامي، لترتيب وجوده الذاتي والمساهمة الفعالة في بناء عولمة ثقافية - سياسية جديدة (٣).

شروط الحوار بالنسبة للغرب

١- الالتزام بالمرجعيات الحضارية، لأن أحادية الحضارة الغربية معناها إلغاء المرجعيات الأخرى، ومنها المرجعية الإسلامية.

٢- الاعتراف بقانون تداول الحضارات، وإن الحضارة ليست حكرّاً له.

٣- إدراك أن ما يسمى بالحضارة الغربية هي نتاج مشترك لما ساهم فيه المسلمون بالقسط الوافر والنصيب الأكبر في فترات ازدهارهم.

بالنسبة للعالم الإسلامي:

١- التزام التعددية داخل بلداننا.

٢- أن ننطلق في مشروعنا النهضوي من مرجعياتنا الإسلامية الأصيلة.

٣- أن نمتلك تصوراً للعالم الذي يحيط بنا، وأن نكون ملمين بالحضارة الغربية؛ واقعها، تاريخها، إمكاناتها، ثم السعي للتفاعل معها، بهدف فهم الطرف الآخر في الحوار، ثم التفاهم معه.

٤- أن نستلهم قيمنا الروحية الحضارية، في سلوكنا الفردي والجماعي.

أهداف الحوار:

١ - مجلة الكلمة: العدد ١٠.

٢ - مجلة الكلمة: العدد ١٠.

٣ - نشرة المدى: العدد ٥، ٢٨/٣/٢٠٠١م (ندوة إسلام التنوير وإسلام العولمة - ورقة ميثم الجنابي - الإسلام الثقافي والعولمة وإشكاليات البدائل الثقافية).

- أ - على الصعيد العقائدي: تصحيح الصورة التي روجت عن الإسلام عقيدةً وحضارة.
- ب - على الصعيد السياسي: مشاركة العالم الإسلامي في صنع القرار على مسرح العالم.
- ج - على الصعيد الاقتصادي: بناء اقتصاد متين يعطينا القدرة على صنع القرار.
- د - على الصعيد الخلقي: إن الإله الحقيقي للحضارة الغربية هو النماء المادي مقترباً بثقافة يأس، وفلسفة فوضى شاملة، وسخرية الوجود، حتى صار الإنسان الغربي يعتقد بأن الحياة ليس لها معنى وهدف، وأن كل شيء مباح حتى الجريمة والعنف ضد الأفراد والشعوب. أما الحضارة الإسلامية فتتميز بخاصية الانفتاح على الكون ومن فيه وما فيه، وتؤكد قيم الإسلام الروحية النبيلة، على الاعتراف بالآخر، والاحتكاك به والنظر فيما عنده، والإطلاع على ما أنجزه ماضياً وحاضراً^(١)..

خاتمة

وهكذا فإن التفاعل في المنظور الإسلامي هو عملية تدافع لا تنازع، وتجاوز لا تناحر، وتكاشف لا تدافن؛ لأن التفاعل حياة، والصراع فناء.

ومن ثم فإن التفاعل الحضاري هو حوار دائم ومطرد، ينشد الخير والحق والعدل والتسامح للإنسانية قاطبة، ولا يسعى بالفساد في الأرض.

١ - صحيفة تشرين: ٢٠٠١/٣/١٤م الإسلام وحوار الحضارات د. عبد الجبار حسن الظاهر.

مقالات

الديمقراطية.. حاجة إنسانية ومنهج للحياة

حسن عبد الله

الديمقراطية هي إحدى المفردات التي تنتمي جذورها التاريخية إلى الحضارة الغربية في النصف الأول من القرن التاسع عشر نتيجة المحاولات الجادة التي بذلتها شعوب أوروبا لمعالجة المشاكل الناجمة عن النظام الصناعي.

وقد أضحت تلك المفردة - الديمقراطية - أحد أعمدة الفكر السياسي المعاصر كغيرها من المفردات وأساليب تفكير وسلوك تلك الحضارة التي تمتد اليوم إلى مساحات واسعة من أرجاء المعمورة على غرار تمددها السياسي والاقتصادي. ولا غرابة أن نجد اليوم أن الديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها من المفاهيم وقد اتخذت طابعاً أداتياً توظفه السياسة الخارجية للدول الكبرى لتحقيق مآربها من سيطرة وابتزاز إلى غير ذلك.

الديمقراطية في المفهوم الغربي

الغرب يعرف الديمقراطية على أنها النموذج الأمثل الذي يجب على الآخرين الاقتداء به ولكن ضمن حدود ضيقة من التطبيقات باعتبار أن الشعوب الأخرى لم تبلغ (سن الرشد) بعد لكي تفهم الديمقراطية، كما فهمها وعقلها الغرب، فإنه يغض الطرف عن حالات الاستبداد والقمع التي تجري في كثير من دول العالم ما دامت قوى القهر والطغيان تؤمن مصالحها الاستراتيجية في تلك الدول عن طريق هذه الممارسات المرفوضة.

إن الديمقراطية اليوم وفي العديد من دول العالم الثالث حلماً وردياً يسيطر على عقول المثقفين، ونسمة صباح ندية تتوق إليها أرواح الناس العاديين، وعنوان كبير لعدد من المنشورات والكتب والمحاضرات التي تسعى إلى تحليل

أزمته ووضع الحلول لكثير من مشاكلها، وقد تعددت في ذلك الطروحات بين من يحمل الماضي تبعات ما يعيشه اليوم من قهر واضطهاد وبين من يتعاطى مع مسببات الواقع المعاش ضمن الواقع الاجتماعي والاقتصادي أو يلقي في اللانمة على أسباب خارجية، وهكذا من الآراء الباحثة عن مكامن الخلل من أجل الوصول إلى الطرق الأصلح للنجاة، والخروج بمجتمعاتها من النفق المظلم الذي تسير فيه منذ عدة قرون.

إن الديمقراطية هي إحدى طرق الحياة التي يستطيع فيها كل فرد من أفراد المجتمع أن يتمتع بتكافؤ الفرص من خلالها فهي - الديمقراطية - نظام سياسي اجتماعي يعني بمستوياته العليا، التعددية الحزبية وحرية الصحافة وممارسة الطقوس والشعائر الدينية على اختلاف مذاهبها، والتداول السلمي للسلطة وغيرها من الضوابط التي تقود المجتمع ضمن مفاهيم الحرية والعدل والمساواة ومن ثم إيجاد الحصانة الاجتماعية لتدراً عنه كل القوى

التي تبيح الاستبداد وتفند الذرائع والحجج لكل تجاوزات الظلم ضد القيم والمبادئ الإنسانية بدعوى عدم قدرة أبناء المجتمع على ممارسة الديمقراطية.

الديمقراطية والحرية

إن انتشار ثقافة الحرية والتسامح لا يعني بالضرورة وجود كيان سليم للديمقراطية فهناك أسباب أخرى مختلفة ومتشابكة تمنع من إيجاد كيان قوي لها، إلا أن وجود القدر المتيقن من نبض الديمقراطية يدفعنا إلى التحرك ولو بخطوات بطيئة نحو الفضاء الواسع لها، وإن عدم القدرة على الإصلاح لمواقع الخلل لا يبرر تكاسلنا عن إصلاح الذات أولاً فالله تعالى يقول: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ). ومما لا شك فيه أن الديمقراطية أو الحرية والتسامح والإيمان بالرأي الآخر لم تأت من فراغ بل هي نتاج لمسيرة طويلة وجهود مضيئة وتضحيات كبيرة نجدها الآن في المجتمعات الأخرى وننظر إليها بإعجاب، ولذا فإن تعميم المفاهيم الديمقراطية التي تمثل روحها وجوهرها أمر في غاية الأهمية إذا ما أردنا أن نضع الأرضية الصلبة للديمقراطية.

إن الحرية والتسامح والرشد أجزاء لوعي وسلوك نحن في أمس الحاجة إليه في الوقت الحاضر أولاً ومن ثم تعميمه ليشكل وعياً اجتماعياً ثانياً، إلا أن ذلك سوف يواجه بمجموعة من التحديات والصعوبات الكبيرة، منها الفارق الكبير بين ما يمثله الشعار من مفردات عظيمة والممارسة التي قد تنحرف بعيداً عن الطريق الذي يرسمه الشعار، ومن ثم القدرة على تضيق الهوية، بين الشعار والممارسة لكي يكون الشعار سلوكاً طبيعياً في حياة الفرد والمجتمع ذلك أن إحدى رصاصات الموت التي تؤدي بالأفكار والدعوات هي الهوية التي تضعنا أمام حالة من النفاق والازدواجية.

الديمقراطية حاجة دينية دنيوية

إننا اليوم أحوج ما نكون لأناس يؤمنون بالديمقراطية ويخلصون لأفكارهم. يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) فمن المفارقات الموجهة أن يتحدث إنسان عن الشرف والتقوى والأمانة وهو أبعد ما يكون عن تلك المفردات العظيمة.

إن أهم المسؤوليات الملقة على عاتق المثقفين أن يعيشوا بصدق مع أفكارهم، وأن تكون مواقعهم التي يشغلونها أماكن تجسد الحرية والحوار وإلا فلن تكون لأفكارهم ومواقعهم أية فائدة، الأمر الذي ينعكس سلباً على بقية أفراد المجتمع حين يرون الطبقة المثقفة بمنأى عما يدعونهم إليه، ومن ثم استهلاك تلك المفاهيم الجميلة ويكون الحديث عنها ضرباً من النفاق المر. إن الفهم الخاطئ للديمقراطية يؤدي إلى التطبيق الخاطئ لها مما يعني سقوطها وعجزها عن ترسيخ المعاني المراد منها، ومن أجل أن لا نقع في هذه المفارقة لا بد من الرشد والوعي لفهم الحرية، فلا يمكن أن نقدم الحرية على أنها الإباحية والتمرد المطلق على الأعراف والتقاليد والمبادئ التي جاءت بها الأديان السماوية، كما أن مثل هذا الطرح الفوضوي يؤدي إلى خسائر كبيرة في الخارج على مستوى حياة الناس وغرس الانطباع السيء في نفوسهم.

إن الاستعارة الميكانيكية لمفهوم الحرية عند الغرب والشعوب الأخرى التي تختلف عنا حضارياً وسلوكياً ومحاولة تطبيقه في مجتمعاتنا يخلق حالة من التصادم والنفور بين ما يحمله الناس من مخزون حضاري من أعراف وتقاليد ومبادئ وبين فهمهم للحرية بهذا الشكل الغريب عنهم.

إن الحرية تبدأ من إحساس الناس بها ومن ثم تحولها إلى قناة راسخة تقدم من أجلها التضحيات، لأن الحرية كأي حق آخر لا تعطى بل تنتزع انتزاعاً. يقول الإمام علي (عليه السلام): (لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حراً) و(كم من عقل أسير عند هوى أمير) والحرية بهذه المعاني ليست إسفافاً في الميول والرغبات بل هو السمو والانطلاق في عالم الفضيلة.

هل هناك تربية ديمقراطية؟

ولكي نبدأ من اللبنة الأولى للمجتمع - الأسرة - لابد من الإيمان والإخلاص بما نحمله من أفكار ومن ثم الممارسة الصحيحة وحملها إلى الناس لتشكل ثقافة مستقبلية لها ومن أجل ذلك لابد أن نبدأ أولاً وكما قلنا بالأسرة.

فالأسرة: هي العالم الأول الذي يعيش فيه الطفل وهو يحمل ذاكرة صافية نقية وما يجري في فضاء الأسرة يلقي بظلاله على تلك الذاكرة ويطلع ببصماته على شخصيته وتكوينه النفسي، فالعلاقات الزوجية القائمة على الاحترام المتبادل والحب والصراحة ستحسم وبقدر كبير عن كيفية نمو هذا الطفل وتجيب عن كثير من الأسئلة التي تتعلق بشخصيته مستقبلاً ومدى قدرته على المشاركة في اتخاذ القرارات الصحيحة، أم إنه سيخلق في إطار شخصية لا تعرف إلا العنف فكراً وسلوكاً.

كما أن العلاقة الزوجية التي تكون المشورة إحدى مفرداتها ستغرس في نفس الطفل بذرة المشاركة لآراء الآخرين. يقول الرسول الكريم: (صلى الله عليه وآله): (استشر زوجتك حتى وإن لم تكن تريد أن تعمل برأيها). لقد أكد الإسلام على ضرورة المشاورة لما لها من تأثير إيجابي في حياة الفرد والمجتمع. يقول الله تعالى في محكم كتابه الكريم: (وأمرهم شورى بينهم) ويقول الرسول الكريم: (استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا) ويقول الإمام علي (عليه السلام): (إذا أنكرت من عقلك شيئاً فاقتد برأي عاقل يزيل ما أنكرته).

ولا تقتصر المشاورة على من يشاطرونك الرأي بل تتعدى في ذلك إلى مشاورة الأعداء. يقول الإمام علي (عليه السلام): (استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواقع مقاصدهم).

إن استحضار مبدأ الشورى هنا إنما هو لتأكيد الحاجة لترسيخ مثل هذه المفاهيم لتشكل وعياً مؤهلاً لممارسة الديمقراطية فينا، فقد لا يحتاج الوالدان إلى استشارة أبنائهم إلا أن هذا السلوك يربي الوعي العام والتكوين النفسي لديهم، فشعور الأبناء بحريتهم ضمن ضوابط وقيم صحيحة وإبداء آرائهم واحترام آراء الآخرين يقودنا جميعاً إلى حالة من التسامح واللاعنف التي يتطلع إليها في مجتمعاتنا الإسلامية وينأى بنا بعيداً عن حالة الانغلاق على الذات والأثنية، والتشردم.

وقد وضع الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) القاعدة الأساسية في تربية الطفل بقوله: (الولد سيد سبع سنين وعبد سبع سنين ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت إلى الله تعالى) ففي هذا الحديث أعطى الحرية المكانة الأولى لكي يتعلمها في مراحل نموه الأولى ثم

الالتزام في المرحلة الثانية وبعد ذلك صفة المستشار في المرحلة الثالثة بمعنى اشتراكه في اتخاذ القرارات لتفتح نفسه على بوابة المشورة وقبول الرأي الآخر في خطواته الأولى نحو الانطلاق إلى الساحة الأكبر ونعني بها المجتمع.

وإذا كانت الأسرة العالم الأول الذي يتولى تنشئة الطفل فإن المدرسة هي العالم الآخر والأوسع الذي يؤثر في سلوكياته وتصرفاته وذلك للمدة الزمنية التي يقضيها في المدرسة ومعاشرته لأعداد كبيرة من التلاميذ وما فيها من دروس مختلفة تخرجه من إطاره الفردي إلى الإطار الاجتماعي.

كما أن المدرسة بالنسبة إلى الطفل هي الساحة الأولى التي يحاول فيها تطبيق ما تعلمه من أسرته من سلوكيات وتصرفات من خلال معاشرته للطلاب، وبالتالي فهي الفرصة لضبط تعامله مع الآخرين وإصلاح الخطأ فيها وفي مراحل لاحقة حين ينضج وحين تشرکه المدرسة في مهام معينة ومحدودة ليتعود بعد ذلك على ممارسة حريته دون المساس بحرية الآخرين.

ومما لا شك فيه أن أساليب التدريس والثواب والعقاب التي يتبعها المعلمون تلعب دوراً في حياة الطالب خصوصاً وأن الطالب يرى في معلمه القدوة الحسنة في عالمه الجديد فإذا ما أدرك الطالب الحقيقة المرة بين ما يجب أن يكون عليه المعلم وما لدى المعلم من سلوكيات غير صحيحة من استبداد واضطهاد فكري ينعكس ذلك سلباً في تعامله مع الآخرين.

أسس البناء الديمقراطي

إن التعصب الفكري والتشنج في الحوار القائم على قاعدة (من لا يكون معي فهو ضدي) تمثل أهم أسس الاضطراب الاجتماعي والقطيعة الفكرية والجهل بتحديات المستقبل. كما أن أهم ما يسيء إلى الديمقراطية هو أن تبقى في برجها العاجي لا تطالها إلا أيدي المثقفين والذين يتحدثون عنها على أنها مجموعة من الطلاسم لا يمكن تفكيكها ومعرفة أسرارها إلا في أجواء احتفالية وروحانية خاصة لا يتسنى للقاعدة الجماهيرية العريضة أن تعيش فيها أو تفهمها.

إن الديمقراطية منهج وليست عقيدة، إنها مجموعة هيكليات وأنظمة تنشُد إدارة أمور الدولة والناس بشكل يضمن مصالح الجميع ومصلحة الوطن المشترك دون إقصاء آراء الآخرين وعقائدهم أو وضعها ضمن قائمة المنوعات والمحرمات المرفوعة هنا وهناك.

إن الديمقراطية آلية تتكيف مع كل مجتمع حسب هويته الحضارية وإن اشتركت القواسم المشتركة الكبرى لها والتي تتطور يوماً بعد آخر متجاوزة حدود حكم الشعب بالشعب وللشعب كما يعرفها الغربيون، وقد آن لنا أن نخرج الديمقراطية من الموقع الذي رُجّت به لتتحول من إطار النخبة إلى الإطار الجماهيري الأوسع لنحدّث أنفسنا بعد ذلك عن إمكانية بناء مجتمع ديمقراطي يسوده العدل والحرية والتسامح.

مقالات

فلسفة الحوار

محمد محسن العيد

الحوار لغة، لفظ يدل على اشتراك أكثر من طرف في مهمة عقلية مهيبة وموجهة تتميز بموضوع واحد يشغل المتحاورين، ويسعون من خلال تلك المهمة العقلية إلى الحسم وبلوغ الحكم في متعلقات ذلك الموضوع بما تستقر به العقول. وقد دلّ على هذا المعنى ما جاء في قوله تعالى:

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) المجادلة، ١.

فالجدل صيغة تجمع بين الفكر والعقل، فهو نشاط الإرادات الإنسانية في التعلم قبل الاستقرار النفسي عند الحكم العقلي بالمطابقة مع الواقع الكوني.. ولذا أشار سبحانه وتعالى إلى إرادة المرأة في توجيهها النفسي لبلوغ الحكم من النبي (صلى الله عليه وآله) فيما تشتكي منه جدلاً في حين سمى سبحانه وتعالى اشتراك الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) معها وهو محض عقل في السعي الجدلي لبلوغ الحسم المقنع والمعرفة التي تطمئن لها النفس أسماء سبحانه وتعالى تحاوراً، لامتياز ما يهدف إليه الرسول (صلى الله عليه وآله) من مسائلة المرأة، هو بلوغ الحكم العقلي الذي تستقر عنده النفوس حيث تتم المطابقة مع الواقع الكوني أو قريباً منه.

ومن أجل وضوح أكثر لمعاني الحوار والتحاور، لنفهم أولاً مصادر الجدل في النفس حيث هو أساس الحوار، فالحوار جدل مذهب وموجه بالعقل.

فما هو العقل؟ وما هو الجدل؟ وما هو الفكر؟ وكيف يحصل في النفس بروز هذه المعاني؟ إن معرفة ماهية الحوار تحتاج إلى العلم بماهية آلية التعلم وكيفية حصول المعرفة في النفس الإنسانية - حيث المعرفة هي العلم المحدد في موضوعه - ولذا فلا بد من مقدمة عن ماهية العلم والتعلم والحصول على المعرفة.

أولاً: العقل التكويني

الإنسان: مادة حية عاقلة، فهو كما يقول خالقه جل وعلا:

(إني خالق بشرًا من طين فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) سورة ص، ٧١-٧٢.

فالطين يحتوي عناصر المادة، والحياة هي نظام رباني بالتسوية كان، بنظام ولج الطين ورفع القصور المادي عنه وجعله يتميز بمميزات الحياة من الحركة التلقائية والتوالد والموت.. ثم كان الإنسان بميزة نفخ الله الروح فيه من لدنه.

والروح من أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى محض الحسن الكوني، لذا فإن الإنسان تميز بروح من أمره جل وعلا. رفع القصور الذاتي عن مادته الطينية وعن نظام حياته، فصار الإنسان بأمر من روح الله تعالى يمتلك في نفسه الإرادة لمعرفة الحسن الكوني ولفعله، فهو مجبول على الانجذاب إليه والابتهاج به ومن خلال تلك الإرادة من روح الله تميز الإنسان عن سائر المخلوقات بما يلي، حيث تتحقق السنن الحسنة في الكون:

١- صار يسعى للحسن فعلاً وحساً وعلماً.

٢- صار يسعى للطاعة ويتجنب الفوضى.

٣- صار يسعى للحق ويطالب بالعدل.

٤- صار يسعى للسيادة ويرعى السيد والمسيد.

٥- صار يسعى للتوحد والتوحيد.

٦- صار يلتزم الصبر ويسعى لتجاوز البلاء.

٧- صار يعمل لما بعد الموت ويسعى للحياة الأخرى.

٨- صار يسعى للعصمة ويحتاط لتجاوز القبح.

هذه الإرادات الثمانية، إنما هي مميزات الخلقة الإنسانية لا يشاركه فيها مخلوق آخر.. مقابل هذه الإرادات الروحية للحسن الكوني توجد في الإنسان غرائز وطباع الحياة الحيوانية من حب للملك والتملك على مختلف أشكاله، وحب للبقاء والخلود بكل أشكاله وحب للتمرد ونزوع لعدم الانتظام.

وحيث النفس هي الكيان الموحد للروح والمادة، تمتزج في هذا الكيان إرادات الروح وغرائز وطباع الحيوان: فيتكون ميزان النفس.

فالنفس: هي الجوهر المتحقق من تلابس ما نمت من الجزئين في كيان الإنسان. أما العقل فإنه سمي عقلاً لأنه يعقل (يربط) في النفس الحاجات المادية الحيوانية من طباع وغرائز بقوة الإرادة للحسن الكوني الروحية.. ويربط (يعقل) حاجات الروح للتعلم والعلم والحسن بقوة النشاط الحيوي للجسد الحي.

فالعقل: هو ما يبدو لنا من كل نفس إنسانية، كانعكاس لواقع الميزان الذي يظهر النمو والتحكم لكل من جزئي الإنسان الحيواني والروحي. فكل جزء من أجزاء النفس يتمتع بثقل قواه الموجهة للنفس ككيان موحد لهما. ومن أجل الدقة في البيان فقد أسمينا الثقل الأول في ميزان العقل بقوتي الحاجة كما أسمينا الثقل الثاني بقوتي السوق.

أما قوتا السوق فيتنازعان النفس باتجاهين متعاكسين، لأنهما كلٌّ يطلب الاستجابة لذاته، والتي هي في الجانب الآخر من النفس، وكذلك قوتا السوق فيتنازعان النفس باتجاهين متعاكسين أيضاً، لأن كل منهما يسوق النفس للاستجابة لذاته. ولذا يحصل في النفس الجدل بين هاتين القوتين.

وهنا يبرز من النفس ميزانها وهو العقل، وإنما سمي عقلاً لأنه النفس تعقل فيه كل تيارين يتنازعانها في المحصلة، وهي حاصل جمع القوتين إذا كانا في اتجاه واحد وحاصل الفرق بينهما إذا كانا في اتجاهين متعاكسين ليخرج مقابل كل محصلة حكم عقلي من النفس، نلاحظه من خلال تعبيراتها اللغوية أو السلوكية.

ومن ملاحظتنا لمجموعة أحكام عقلية تصدر عن نفس ما، نستطيع أن نحكم على مقدار النقص والكمال في العقل لتلك النفس فنقول أنها عاقلة أو غير عاقلة أو أنها حيوانية أمارة بالسوء أو أنها لوامة أو أنها مطمئنة

روحانية.

وعلى وجه العموم، فإن هناك أربعة احتمالات لالتقاء تيار قوة واحد من الطين مع آخر من الروح في كل نفس إنسانية، وفي كل قضية تحتاج فيها النفس إلى العقل كي يصدر حكماً في تلك القضية وعلى الشكل التالي:

١- تيار قوة يطلب حاجة حيوانية مقابل تيار قوة سوق روحية (حاجة لاسوق) وهذا يعني أن التيارين يظهران في النفس باتجاه واحد. فتكون محصلة التوازن العقلي مساوية لمجموع تلك القوتين وباتجاه الاستجابة للحاجة الحياتية وفق مقدار النمو الروحي للنفس ويصدر حكم عقلي بذلك.

٢- تيار قوة حاجة روحية مقابل تيار قوة حاجة حياتية (حاجة لا حاجة) ... وهذا يعني أن التيارين يظهران في اتجاهين متعاكسين، فتكون محصلة التوازن في العقل مساوية لحاصل الفرق بينهما وباتجاه الحاجة الأشد قوة فيصدر حكم عقلي بذلك.

٣- تيار قوة سوق روحية مقابل تيار قوة سوق حياتية (سوق لاسوق).

وهذا يعني أن التيارين يسوقان النفس باتجاهين متعاكسين: فتكون قوة محصلتهما في النفس مساوية لحاصل الفرق بينهما ولصالح القوة الأشد في السوق، ويصدر الحكم العقلي بذلك.

٤- تيار قوة سوق حياتية مقابل تيار قوة حاجة للروح (سوق لا حاجة) وهذا يعني أن التيارين يظهران في النفس باتجاه واحد. فتكون محصلة التوازن بالعقل (الربط بينهما) مساوية لمجموعهما، وباتجاه الاستجابة للحاجة الروحية ويصدر الحكم العقلي بذلك.

وباعتبار أن النفس هي الجوهر المتحقق من اندماج ما ينمو من حياة المادة مع ما ينمو من الروح في كيان الإنسان، فعلى أساس التفاوت في القوة والنمو لكل من الجزئين يبدو الجدول ويتميز في سعي النفس للحصول على العلم.

ومن خلال ما تقدم فإن هناك حقائق لا بد من الإحاطة بها لمعرفة فلسفة الحوار باعتباره جدلاً مهذباً وموجهاً بالعقل.

أولاً - العقل التكويني:

يجد كل واحد منا أن هناك بديهيات أو مسلمات لا يختلف عليها اثنان، وهي واضحة في الكون وتعتبر ثوابت أساسية لا تطالها النسبية، هي جوهر معرفة الإنسان وكيانه عقله... تلك هي التي نسميها بالعقل التكويني الإنساني، وهذا العقل التكويني هو المميز الأساس في كل حكم عقلي يصدر عن الإنسان وهو مقوم آتي مع كل تفكير يقوم في النفس إزاء المشاكل التي تواجهه. فما هي مكونات العقل التكويني؟

ينشأ العقل أساساً على ثمان إرادات هي:

١- سعي النفس إلى الحسن الكوني وانجذابها إليه وسرورها به ونزوعها لفعل الحسن ونفورها من القبح. ويبدو ذلك واضحاً عند كل فرد ولكنه يتميز بالتجسد والبروز عند كمال العقول في النفوس. وأساس هذا السعي نراه في وجود نمط التكامل في سعي الإنسان للتعلم. يتحرك هذا النمط النفسي على كل الأشياء التي تقابل الإنسان ويجد لها الوسائط الثابتة في نفسه لاستدعاء معانيها متى احتاج إليها. وتأخذ المعاني تمام قرارها في النفس عند تمام المطابقة بين الشيء ومعاني الحسن الرباني أو ما يقابله من القبح.

٢- سعي النفس لمعرفة العلة أو السبب، ويبدو ذلك في إرادة الرحمة والسعي إليها من خلال استدعاء

الحوادث باستدعاء عللها أو استبعاد الحوادث باستبعاد عللها ومواضيع نمط التعليل التي تتحرك عليها كل نفس هو كل الحوادث والمتغيرات التي تقابل الإنسان. ويبلغ العلم بالعلية والسببية غايته من القرار في النفس عند تطابق معناه مع معاني الرحمة الواسعة في الكون وجوداً أو عدماً.

٣- سعي النفس لمعرفة الحق، وطلبها لتجسيد العدل، فالطاعة هي لازمة الوجود، حيث الطاعة هي استجابة الموجود لنظام وجوده، والحق هو ما بدأ به الوجود وقام به ويدوم عليه، والعدل هو تجسيد الحق في واقع الإنسان، والعلم هو نشاط النفس في بلوغ الحق.. والحق هو الصدق الثابت في الواقع الكوني وتعبير عنه النسب الثابتة بين المعاني والعلل، ويبلغ الحق تمام قراره في النفس عند تمام التطابق مع مواقع الثبات في الواقع الكوني عندما تنسب الحقائق إلى ذلك الواقع.

٤- سعي النفس إلى الدار الآخرة، من خلال حقيقة الموت الثابتة بالإيمان بالغيب، حيث يبلغ الإيمان بالغيب غايته عند المطابقة بين أفعال النفس في مواجهة الواقع الحاضر مع ما يحضر فيها من الغيب. ومواضيع النفس في سعيها هذا هو سرمدية السنن الكونية وثبات البديهييات.

٥- إرادة الصبر والسعي على العزيمة بلزوم الحسن الكوني. ومادة هذا السعي إزاء النفس، هو الحقائق والعلاقة بينها وبين الثوابت الكونية سبيلاً لبروز النواميس والسنن من خلال نمط التجريب في النفس، ويبلغ التجريب غايته في العلم بالقوانين والسنن من خلال مرورها بالبلاء بذاتها.

٦- إرادة السيادة وسعي النفس إليها من خلال معيار الإمامة باعتبارها معنى الحسن في كل خلق، وكناموس كوني بنمط التفاضل بين معاني الحسن في كل صنف من أصناف المخلوقات، وتبلغ المطابقة المعيارية في النفس قرارها عندما تكون النفس بذاتها هي معنى الحسن في خلق الإنسان كصنف من أصناف الخلق هو الإمام. ٧- إرادة التوحيد وسعي العقل إليه، ومادة هذا السعي وهذه الإرادة أن يكون الإنسان بذاته إزاء مجموعة نواميس، ومن خلال نمط التعميم في النفس تبرز ضرورة التوحيد، ويبلغ التوحيد قراره في النفس عند تمام المطابقة بين السنن الحسنة ومعاني الأسماء الحسنى لله تعالى.

٨ - السعي لأحسن وتجنب القبح، ومادة هذا السعي كل المعارف والعلوم والوسائل الثابتة فيه... هو حقيقة إرسال الرسل وإنزال الكتب وقيام المعجزات من لدن الله تعالى، ومن خلال نمط التكامل تسعى النفس لبلوغ العصمة، ويبلغ التكامل غايته في النفس مع علوم الدين وسير المعصومين (عليهم السلام) المختارين من قبل الله تعالى.

هذه معاني وجود العقل التكويني في كل نفس، منها يبدأ بروز العقل الخاص لكل إنسان بمقدار ما ينهل منه ولذا يقول الإمام علي (عليه السلام):

(لا عقل كالتدبير... ولا علم كالتفكير). (نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢٧)

ثانياً: الفكر التكويني والتفكير

قلنا أن تميز الإنسان بالروح منحه العقل التكويني الذي هو استعداد فطري لبروز ثوابت في التفكير والفكر، تلك هي ثوابت الفكر التكويني، وهي أبواب لفتح مغالق إرادات الحسن في العقل التكويني. فالتفكير هو استعداد فطري في كل نفس إنسانية بالجوء إلى العقل إزاء أية مشكلة تواجهه أو اهتمام يمارسه أو مثير من الواقع يطغى في نفسه.

ويبدأ هذا الاستعداد الفطري النفسي في آلية تتكرر مع كل فكرة، وهو على النهج التالي:

(أ) المثير البادئ للتفكير

ويتمثل في مشكلة تواجه الإنسان، أو تغير مثير للاهتمام في واقع الحياة أو إحدى إرادات الروح في أنماطها تتطلب بلوغ غاياتها. فلا يمكن أن يبدأ التفكير إلا مع وجود مثير بادئ له.

(ب) التراجع

تبرز على صفحة النفس بإزاء المثير الذي تواجهه ثلاث مركبات من أصل النفس وعلى صفحة عقلها هي:

١- مركبة حاجات الروح محمولة على طاقة النشاط الحيوي فيما يخص موضوع المثير.

٢- مركبة قوى الحياة محمولة على إرادات الروح فيما يخص موضوع المثير.

٣- مركبة القلب، وهو حافظة النفس وجوهرها من العلم والعادات والتقاليد والذاكرة والعقيدة واللاوعي.

وبافتراض أن هذه المركبات هي مقادير اتجاهية بما هي قوى موجهة بأمر الله تعالى (قل الروح من أمر ربي وما أوتيت من العلم إلا قليلاً) الإسراء: ٨٥.

(ج) الحسم

بعد بروز المركبتين موضوع المشكلة أو المثير في النفس، فإن القلب بما هو جوهر النفس من مكوناتها سوف يميل بدرجة ما إلى إحدى المركبتين المتعاكستين وبالقلب يحسم الصراع لصالح إحدى المركبتين ويطبّع التفكير بطابع قلب صاحبه وهذا ما نجده واضحاً في قوله تعالى:

(إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) القصص: ١٠.

فالوحي الرباني ربط على قلب أم موسى وغير حكمها العقلي من أن تبدي به.

وقوله تعالى: (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم...) البقرة: ١١٨.

فتمائل الأحكام العقلية اللغوية (الأقوال) يأتي لتشابه القلوب.

ومثل هذا كله، وحيثما يرد لفظ القلب فإنما يدل على أنه مركبة تدل على وعاء النفس وجوهرها.. في كتاب الله تعالى.

ويقول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): (المرء تحت طي قلبه ولسانه).

ويقول الإمام علي (عليه السلام) (إن الإيمان لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت اللمظة). (نهج

البلاغة، ج ٤، ص ٥٩)

وقال عليه السلام: (يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها). (نهج البلاغة، الجزء الرابع، ص ٣٥)

فالقلب هو حافظة النفس وجوهر مكوناتها مما تلبس من الذاكرة والعلم بالعقيدة والعادات بالتقاليد واللاوعي باللاوعي.

فالقلب وعاء النفس الذي يتلبس أعضاء الجسد في جوفه، مثل الفؤاد والكبد والحجاب الحاجز والرئة والكلية والمعدة والأمعاء.

ويبرز هذا واضحاً في كون الانفعال ليس له علاقة بالعقل والتعقل ولا بالإرادة، فمثلاً عندما تخاف النفس أو عندما تفرح، وقبل حصول أي حكم عقلي أو إرادي أو معرفة بمعاني ذلك الخوف أو ذلك الفرح، وقبل حصول أي حكم عقلي أو إرادي، فإن الحجاب الحاجز والكبد والفؤاد كلها تتوجه إلى ما يناسب ذلك الانفعال، فمثلاً،

تزداد ضربات القلب وينشط الحجاب الحاجز ويتوجه الدم إلى الأطراف في انفعال الخوف والمقاتلة، ويتوجه إلى الوجه في حالة الفرح، والقرآن يوجه إلى هذه المعاني في كل آية ورد فيها لفظ القلب.

ولذا فإن حالات الانفعال في عمل العقل دليل على إصابة مكامن تزعج المنفعل يستفيد منها المحاور الذكي في معرفة خصمه وما يخبئه، ومنها يستطيع توجيه الحوار بما يريد.

فالحوار: هو حالة تراجع نفسي في الفرد موجهة بالعقل التكويني وفق آلية التفكير الفطرية آتفة الذكر.. وهو حالة تراجع جماعي في العمل الفكري موجه بالسنن الكونية والتكوينية لخلق الناس وفق آلية الربط بإرادات الحسن الكوني. وفيما عدا ذلك فهو جدل.

والجدل: هو محصلة تلاقح المعرفة الفكرية مع المعرفة العقلية إزاء تلاقيهما مع متغيرات البيئة وثوابت العقل التكويني في الإنسان، وتبرز بشكل شكوك وتساؤلات على أصل الفكرة السابقة في موضوع ما، باتجاه حل جديد، وبذلك تكون الأفكار التي كانت حلاً سابقاً لقضية ما، هي الآن مشكلة لقضية جديدة في الجدل، ويتجسد الجدل في معرفة الفرد في مساحة واسعة جداً من حياته خصوصاً في سني الطفولة الأولى ثم تنحصر مع تقدمه في العمر حتى تتلاشى في الذين تنحصر حياتهم في هموم الشيخوخة دون العلم.

ولذا فإن كان المرء من المترفين، فإنه في نفسه يتجاوز الجدل الذي يمثل حالة عدم استقرار فيها لتتغمس فيما أترفت فيه كرد فعل يهرب به المترف من نفسه ومن عقله التكويني، ولذا يصفهم المولى جل شأنه بالذين يختانون أنفسهم، قال تعالى:

(ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم) النساء: ١٠٧.

وقال سبحانه وتعالى في نكران المترفين لثوابت المعرفة في العقل بالكذب والكفر: (وقال الملام من قومه الذين كفروا وكذبوا بقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشرٌ مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون) المؤمنون: ٣٣.

لذا ففي الجدل مسلكان للنفس لتحقيق استقرارها لذاتها بالعلم:

أ. مسلك الهروب من ذاتها بالكذب والكفر بالثوابت الكونية وثوابت تكوينها العقلي التكويني البديهي، وفي ذلك قال الله تعالى:

- (ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق) الكهف: ٥٦.

- (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) الحج: ٨ ولقمان: ٢٠.

- (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) غافر: ٤.

- (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) الأنعام: ١٢١.

- (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبراً ما هم ببالغيه) غافر: ٥٦.

هذا هو المسلك الأول للجدل في المعرفة، وهو مسلك مقطوع مجذوذ لا يحقق من المعرفة شيء، بل هو معنى لمخالفة تكوين الإنسان العقلي.

والمسلك الثاني للجدل، الموافق لتوجهات العقل التكويني هو الحوار.

ب. الحوار

وفيه ميزتان للحسن في الجدل هما، الأولى: أنه ينطلق من حقيقة، والثانية: أنه يهدف إلى حقيقة أشمل

وأثبت.

ورد لفظي الجدل والحوار في آية واحدة لبيان هذه الميزتين؛ قال تعالى: (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميعٌ بصيرٌ) المجادلة: ١. أما المرأة فإنها ترفع قضيتها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهي تشتكي، تبدأ بقضية فيها حق وتريد حقاً من الحق سبحانه، ولكن الطرف الثاني في الجدل هو رسول الحق، فتحولت الشكوى من الجدل إلى الحوار بميزتيه.

ومثل ذلك جدال إبراهيم (عليه السلام) للملائكة الذين أبلغوه، بأنهم جاءوا بالعذاب لقوم لوط، إنه تناقض وجدال. العذاب حق ولوط (عليه السلام) لا يستحق ما يستحق قومه، إنه في درجات عالية من عدم استقرار العقل، وكان (عليه السلام): يظن أن لوطاً مع قومه، ولذا قال لهم (عليهم السلام): (قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها) العنكبوت: ٣٢.

(فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليمٌ أَوَّاهٌ منيبٌ) هود: ٧٤-٧٥.

وقد عقب سبحانه وتعالى على إبراهيم بعد جداله بالمدح مع أنه نهى عن هذا الجدل (يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك) هود: ٧٦.

فالجدال مسلك فطري للمعرفة في كل نفس، إلا أن أمر الله تعالى محض حسن، فهو الحق وهو الرحمة وهو العدل... فلا يصح معه الجدل.

ويقع هذا المسلك صحيحاً صادقاً عندما يبرز بتساؤلات وتحريات عن حقائق في موضوع ما، انطلاقاً من وقائع وحقائق في اليد من ذات الموضوع، أو انطلاقاً من ثوابت المعرفة في التكوين الأساسي للنفس، والتي أسميناهما بالعقل التكويني. فإذا حصلت النفس على إجابات صادقة لتساؤلاتها أو تحقق لها وجود وقائع ثابتة من تحرياتها في الحوار تهيات للحسم في بيان حقيقة جديدة أو فكرة لحقيقة جديدة تبرز في حكم عقلي جديد.

المعرفة العقلية

إن النتيجة الحتمية للمسلك الفطري في الجدل هو بلوغ العقل مرحلة الحسم، والبت في القضايا، ففي كل إنسان لا تستقر النفس بثوابتها التكوينية إلا بانطباق تلك الثوابت مع ثوابت الكون... ثم تصبح مواقع الانطباق تلك حقائق تنطوي عليها النفس كمعرفة.

إن مواجهة الشخص لقضية أو مشكلة، فإن نفسه تمر بالمراحل الثلاثة للمعرفة قبل الحسم. فهي تفكر ثم تجادل في الفكرة، ثم تحسم الجدل بحكم عقلي يتجسد في تعبيرات لغوية أو سلوكية تمثل حسماً لتلك القضية أو حلاً للمشكلة.

أما ما نجده في الخبرة الإنسانية ومعارفها من علوم عقلية، فيقع في الأصناف التالية:

١- الحكم العقلي الحكيم في كلام الله تعالى، وهو الحق ومصدره الحق: قال تعالى:

- (ويحقّ الله الحقّ بكلماته ولو كره المجرمون) يونس: ٨٢.

- (إن الحكم إلا لله يقصّ الحقّ وهو خير الفاصلين) الأنعام: ٥٧.

ويتمثل الحكم العقلي الحكيم في قول الله تعالى، فيما أوحى للنبيين (عليهم السلام)، ونجده في الجانب

المكتوب منه في الكتب المنزلة غير المحرفة مثل القرآن، أو فيما نقل إلينا من سنة المعصومين (عليهم السلام) الموافقة للقرآن الحكيم في مضامينه والثابتة الصدق والصحة.

٢- الحكم العقلي التجريبي: وهو الصدق الثابت المنقول عن الواقع بالتجربة وتحقق فيه المطابقة في النفس بين ثوابتها التكوينية في المعرفة (العقل التكويني) وبين ثوابت الكون.. وهي تتمثل اليوم في حقائق العلوم الصرفة والتطبيقية التي حصلت عليها الإنسانية من التجربة والتطبيق والملاحظة والممارسة.

٣- الحكم العقلي الراجح: وهو الحقائق التي صلحت عليها النفوس بالمطابقة بين حقائق عقلها التكويني وحقائق الواقع. وهي حقائق لا شك في ثباتها، لكنها قد تكون بدايات للمسلك الفطري للجدال، وهو الحوار لبلوغ تمام التطابق في حقائق أعم وأشمل وأكثر ثباتاً.

٤- الأحكام العقلية الآتية، وهي تعبيرات لغوية أو سلوكية للنفوس تجتاز بها المواقف والمشاكل المتكررة مع كل وقت لتحسم بها القضايا بما يناسب الميزات الإنسانية الراقية، كوجوب شكر المنعم، ومعظم التعبيرات أو الأفعال في مكارم الأخلاق والعادات الحسنة التي صارت إراثاً إنسانياً يتناقله المتحضرين من بني البشر، فهي دليل الثقافة والرفق.

٥- الحكم العقلي التسليمي: في العقل التكويني للنفوس، نمط معروف للتعلم يعتبر أساس المعرفة، هو التسليم، فالناس ودون تفكير؛ يسلمون بالأسماء لمعانيها من قبيل، هذا قلم، وهذه كارثة طبيعية، وهذه شمس... إلا أن هذا النمط قد يتعدى التسليم بالأسماء لمعانيها إلى التسليم بالعلل دون تعليل، أو بالحقائق دون تصديق، أو بالقوانين دون تجريب، بل وبالعقائد دون تفاضل... وهذا التعدي في المعرفة بالتسليم، هو مدعاة الجدل بأوسع أبوابه وبصنفيه، فلا بد من التمييز من أجل بيان أوضح.

والآن وبعد هذه المقدمة عن مراحل المعرفة وأصنافها، علينا أن نتساءل ما هو موقع الحوار في المعرفة؟ وكيف يؤدي الحوار مهامه في إمضاء رسالة الإنسان في كونه هذا؟

الحوار كما علمنا من المقدمة، مسلك فطري لازم لكل معرفة لبلوغ الحقيقة في أية قضية من القضايا التي لا زالت في مرحلتها الفكرية أو القضايا التي بلغت الحكم العقلي بالترجيح أو التسليم. فتكون تلك القضايا منطلقات للحوار، تبدأ بسؤال أو أسئلة متسلسلة وفق منهج استقرائي منطقي، بحيث يكون الجواب المتوقع قضية للسؤال الذي يليه: فكر، فجدل، فحكم عقلي... ثم حوار لقضية جديدة ففكر فجدل فحكم عقلي... وهكذا حتى بلوغ تمام الاستقرار، كما هو متبع مثلاً في مناهج دراسة البيولوجيا الجزيئية.

المسلمون في العالم

المسلمون في السنغال

إعداد: جعفر حسين

تقع السنغال في غرب إفريقيا، جنوب الصحراء الكبرى، تطل على المحيط الهادي، وتجاورها موريتانيا شمالاً، ومالي شرقاً، وكل من غينيا وغينيا بيساو جنوباً. يبلغ عدد السكان في هذا البلد حسب إحصاء ١٩٩٠ : ٢,٢٢٧,٠٠٠ ويعتبر الإسلام الدين الرسمي في هذا البلد حيث يشكل المسلمون حوالي ٩٤% من عدد سكانه. تسكن السنغال شعوب وقبائل شتى زنجية بالدرجة الأولى تتكلم نحو ١٣ لهجة أو لغة، تختلف كل منها عن الأخرى وعلى رأس هذه القبائل قبيلة (الولف)، وهم سكان الساحل ويشكلون نحو نصف سكان السنغال. إن لغة الOLF هي اللغة الغالبة في السنغال ويتحدث بها غالبية السكان. وكانت هذه اللغة تكتب في القديم بالأحرف العربية، بل أن الملوك كانوا يعتبرونها اللغة الرسمية، إلا أنه وبعد حصول السنغال على استقلالها قرر رئيس السنغال السابق (ليوبولد سیدار سنجور) أن تكتب لغة الOLF بالأحرف اللاتينية بدلاً من الأحرف العربية، وهذه اللغة لها قواعد نحوية وصرفية وكل ما يتوافر لأية لغة أخرى مكتوبة، وتمثل المفردات العربية ٢٥% من مفرداتها، وعندما جاء الاستعمار الفرنسي إلى السنغال حاول طمس هذه اللغة إلا أنه لم ينجح لأن الكثير من السكان يتقنها ويتحدث بها، بل أن هناك طائفة من التجار لا يزالون يكتبون معاملاتهم التجارية بهذه اللغة. تأتي في المرتبة الثانية قبيلة (الفلان) وهم سكان الصحراء الواقعة شرق السنغال، وكانوا أول من اعتنق الإسلام في غرب إفريقيا، وهم رعاة يتنقلون وراء العشب والكأ، ثم قبيلة (التكولور) ويأتون في المرتبة الثالثة، وهم مسلمون يسكنون حوض نهر السنغال، وقد تأثروا بالموريتانيين في الشكل والملامح بحكم الجوار والزواج. أما رابع هذه القبائل فهي قبيلة (السرير) وهم أهل الغابات سكان الجنوب والغرب. وهناك قبائل أخرى صغيرة مثل قبيلة بولار وسوسيه ومانديكا وسنجاك والبانيو ومانكان.

الإسلام في السنغال

تمثل جمهورية السنغال أهم دول منطقة غرب إفريقيا حيث التقت الحضارات المتنوعة الإسلامية الممتدة من الشمال الإفريقي على أيدي التجار المسلمين والمبشرين من دولة المرابطين في المغرب العربي منذ قرون عديدة، والوثنية التي مثلت بقايا دولة الOLF التي عاشت في القرن الرابع عشر الميلادي في ذلك الجزء من إفريقيا، والحضارة الغربية المسيحية.

لا يمكن التعرف على السنغال التي دخلها الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي دون تصفح تاريخ

المسلمين العريق في ذلك البلد الإفريقي. فرغم أن مسلمي شمال إفريقيا وخاصة دولة المرابطين في المغرب (١٠٥٥م - ١١٤٥) لم يتح لهم المجال للحكم في فترات طويلة ولم يقوموا ببرامج تستهدف نشر الإسلام بين الأقوام التي عاشت في جنوب الصحراء الكبرى، إلا أن حركة التجارة التي دفع إليها الإسلام وشجع المسلمين على القيام بها كانت خلف اعتناق الإسلام بصورة تلقائية وواسعة في إفريقيا من ذلك الوقت، وكانت تجارة التوابل والمعادن النادرة ومنها الذهب تشكل الدوافع الرئيسية لحركة التجار للذهاب جنوباً. كما كان لطبيعة الإسلام وتيسر اعتناقه - رغم وجود مصاعب لغوية وعرقية - الأثر الكبير في أن تتحول السنغال ومنطقة جنوب إفريقيا إلى الإسلام بأعداد كبيرة مما جعلها بعد حين من الزمن منطقة إعداد وتوزيع للمبشرين بالإسلام لمدة قرون عديدة ورغم نشوء تجارة العبيد في أواخر القرن الخامس عشر مما شجع البرتغاليين على إنشاء موانئ لهم على ضفاف الأطلسي في غرب إفريقيا، فإنهم لم يستطيعوا الدخول إلى البر الإفريقي الذي بقي منطقة محرمة عليهم. وأدى ازدهار التجارة السوداء إلى حدوث رد فعل عنيف ضمن السكان في القرن السابع عشر ضد المتنفذين المحليين الذين كانوا يساعدون على تجميع الضعفاء وإعدادهم للتصدير. كأرقاء، وثار المسلمون تحت توجيه المرابطين ولمدة أربع سنوات محاولين إيقاف ذلك الاستغلال البشع للإنسان.

دولة عمر تال

ومرت على السنغال فترة هدوء نسبي منذ ذلك الحين إلى أواخر القرن الثامن عشر عندما تحرك المرابطون من جديد لتأمين حماية محلية تدافع عن المسلمين وتمنع عنهم اعتداءات الوثنيين، وقد توجت هذه النشاطات بقيام الحاج عمر تال بإنشاء دولة على أساس الشريعة الإسلامية.

وكان عمر قد زار الشمال الإفريقي وحج في عام ١٨٢٠ وتعرف على الطريقة التيجانية وأصبح من مريديها. لقد كان تأثير الحاج عمر تال كبيراً فبالإضافة إلى محاولته إنشاء الدولة الإسلامية التيجانية في غرب إفريقيا في منطقة فوتاتورو سنة ١٨٥٢ فإنه كان من أوائل من قاوموا الاحتلال الفرنسي الذي بدأ في سنة ١٨٥٤ بنزول المستعمرين في ميناء سانت لويس، وقامت بينهم معارك شديدة في عام ١٨٥٩ لم يستطع أثناءها الحاج عمر تال والمجاهدون معه من إزاحة الفرنسيين عن مواقعهم. واستشهد فيما بعد أثناء القتال سنة ١٨٦٤.

ولم يكن عمر تال محارباً للدفاع عن الإسلام بسلاحه فحسب، بل كان من المؤلفين والعلماء المهمين الذين كانت دائرة تأثيرهم أكبر بكثير من المساحات الجغرافية التي عاشوا فيها فقد ترك مؤلفات متعددة تبحث عن الحاكم الإسلامي وما ينبغي أن يكون شأن الإدارة الإسلامية للدولة.

تحول كبير نحو الإسلام في القرن العشرين

من الملفت للنظر ضمن دراسة أثر الإسلام في التركيب السكاني في السنغال التعرف على موقف السكان المحليين الساكنين في الريف من الدين الجديد الذي اكتسح المدن والمناطق الساحلية، فبعد أن كان تأثيرهم وتحولهم قليلاً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فإن الإحصائيات تشير إلى أن نسبة السكان المسلمين في بداية القرن العشرين كانت ٥٠% من مجموع السكان بينما تبلغ الآن بين ٩٠% - ٩٤% وهي أكبر نسبة تحول

في العالم ويُعزى ذلك إلى أثر الطرق الصوفية المتعددة وأهمها التيجانية وتأتي بعدها المرابطية والقادرية، لكن السبب الرئيسي يعود إلى خيبة أمل السكان المحليين عند اختلاطهم بالفرنسيين الذين كان مهمهم الوحيد استنزاف البلاد واستثمارها لصالح إشباع الحاجات الاقتصادية لفرنسا عن طريق استغلال السكان المحليين وإبقائهم على حالتهم البدائية.

الطرق الصوفية

ينقسم المسلمون السنغال إلى أربع طرق صوفية رئيسية تعترف بها الحكومات وتتعامل معها وبخاصة عند الانتخابات، وعلى رأس كل طريقة خليفة واحد أو خليفة يتبعه خلفاء أصغر، ولكن المعترف به هو الخليفة العام والخليفة حر مع أتباعه وفي تنظيم البناء الهرمي لطريقته سواء على مستوى الفروع أو السلم القيادي، عنده الورد والسر والذي لا يلقن إلا للمريدين، كما أن لديه كتب الطريقة وعهودها، والخليفة هو الذي يقوم بتنظيم الاحتفالات الدينية في مختلف المناسبات، وفي العادة تقوم الحكومة بإيفاد ممثل لها في تلك المناسبات.

وتعدّ الطريقة التيجانية من أكبر الطرق الصوفية إذ يمثلون نحو ٥٠% من السكان، ومؤسس هذه الطريقة هو الشيخ أحمد التيجاني، وهو من أصل جزائري، وتأتي الطريقة المريدية بالمرتبة الثانية، ويمثلها نحو ٣٥% من السكان وصاحبها هو الشيخ أحمد بمبا وهذه الطريقة سنغالية محضة وليس لها أي اتصال بالخارج، وهي ابنة شرعية للتربية الإفريقية بأعرافها وموروثاتها، ثم تأتي الطريقة القادرية في المرتبة الثالثة والقاديون أصحاب محمد عبد القادر الجيلاني الذي توفي في بغداد عام ٥٦١ هجرية وهي من أقدم الطرق الصوفية، وقد دخلت هذه الطريقة إلى غرب إفريقيا في القرن الخامس عشر الميلادي، ويبلغ عدد القادريين نحو مليون شخص، ويأتي اللاهينيون في المرتبة الرابعة، وهم أقلية إذ لا يتجاوز عددهم أكثر من ١٥٠ ألف نسمة.

ولكل طريقة عاصمة أو مدن معروفة مرتبطة بها فمدينة طوبى مثلاً هي عاصمة للطريقة المريدية، ومدينة كميرين هي قاعدة الطريقة اللاهينية، ومدينة انجاسان هي قاعدة الطريقة القادرية، أما مدينة جنيّة فهي للتيجانيين، كما أن مدناً مثل توادون وكولخ هي أيضاً قواعد فرعية لاتباع التيجانية.

وإذا كانت الطريقة الصوفية قد استطاعت أن تلعب دوراً بارزاً في الحفاظ على الإسلام في السنغال، وفي غرب إفريقيا بخاصة فإن هذه الصورة قد بدأت في التغيير تدريجياً منذ أن نالت السنغال استقلالها في أوائل الستينيات، فقد ظهرت خلال الأربعين سنة المنصرمة أجيال من المتعلمين أحدثت متغيرات كثيرة في الساحة السنغالية، أدت إلى اتساع رقعة الاستقلال الفكري لدى هؤلاء المثقفين، الأمر الذي أدى إلى تقليص نفوذ رجال الطرق الصوفية، ففي السنغال الآن نشاط ديني اجتماعي منظم تديره هيئات وجمعيات ومنظمات إسلامية تشكلت من مجموعة من الشباب السنغالي الذين درسوا - في بلدان عربية مثل الجزائر والمغرب والقاهرة - الفقه واللغة العربية والدراسات الإسلامية وقد التقت وجهات نظرهم أنه من الضروري أن يختاروا صيغة جديدة للتحرك تتجاوز الطرق الصوفية وجماعاتها وتتبنى الإسلام البعيد عن الخرافات والشوائب.

وقد أخذ هؤلاء الشباب بالتحرك بخطى سريعة وبحماس كبير نحو تحقيق هذا الهدف، وإلى جانب هؤلاء الشباب هناك مجاميع أخرى من الوعاظ والدعاة الغيورين على الدين.

ويبقى التطلع نحو مساهمة أكبر على صعيد الدول الإسلامية واحداً من أكبر المؤثرات على السنغال

المعاصرة من نواح سياسية واقتصادية، كما يستمر مسلمو السنغال في رعاية شؤونهم الدينية إذ يعتبر مسجد طوبا في السنغال من أكبر مساجد غرب إفريقيا، وهناك مساجد ومدارس قيد الإنشاء. ويستمر تحوّل السكان من غير ذوي الأديان نحو الإسلام في أكثر مناطق إفريقيا حداثة تغييراً بذلك الاتجاه.

المصادر

- ١ - المسلمون في السنغال. معالم الحاضر وآفاق المستقبل. عبد القادر محمد سيلا. سلسلة كتاب الأمة.
- ٢ - مجلة العربي. العدد ٤٣٦. مارس ١٩٩٥

شخصية العدد

الخطيب

المرحوم السيد علي الفالي (رحمه الله)

ولد السيد علي الفالي في الرابع والعشرين من شهر رجب عام ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ في مدينة كربلاء المقدسة، وعلى أرضها الطاهرة نشأ وترعرع، يتنسّم عبق الشهادة والكرامة، ومعنى البطولة في ظلال سيد الشهداء (عليه السلام)، وشب في بيت من بيوت آل رسول الله (صلى الله عليه وآله) يذوب حباً وولاءً وفخراً بخدماته الدينية عامة والحسينية خاصة تحت رعاية أبيه العالم المجاهد السيد أحمد الفالي.

دراسته العلمية

بعد أن أنهى المرحلة الثانوية في المدارس الرسمية اتجه نحو الدراسات الدينية، وارتدى لباس أهل العلم متملذاً على سماحة السيد والده، ثم حضر دروسه على كل من الأعلام التالية أسماؤهم:

- ١ - آية الله الشيخ محمد الشاهرودي (قدس سره).
- ٢ - آية الله الشيخ جعفر الرشتي (قدس سره).
- ٣ - آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي (قدس سره).

خطابته

خدم السيد علي الفالي المنبر ومارس الخطابة الحسينية بلغتين متداولتين العربية والفارسية وارتقى المنبر خطيباً مخلصاً وناعياً صادقاً في مختلف الأقطار العربية والأمصار، منها دولة البحرين ودولة الكويت والبلاد الإيرانية بشتى مقاطعاتها.

لقد تميز السيد علي الفالي بصدقه وإخلاص خدمته وبذل جهوده وتفانيه في طريق سيد الشهداء (عليه السلام) وتأسيسه لمشاريع حسينية ودينية هامة كبناء الحسينيات وتشيد المساجد، إضافة إلى خدماته الإنسانية في رفد وإنعاش الفقراء والمعوزين من منطلق مدرسة الحسين ونهج ثورته وجهاده من أجل رفع الحيف والظلم عن المنكوبين والمحرومين والمستضعفين.

لقد كان السيد يجيد انتقاء الألفاظ والروايات الصحيحة التي استخرجها من بطون الكتب التاريخية، وكان ذا أدب رفيع وبيان ساحر، يتكلم بتجرد عن العواطف والأهواء والميول، إضافة إلى ذلك كان كريم الطبع، حسن الخلق طلق المحيا، باسم الثغر، واسع الصدر، وامتاز بشدة الحافظة واتقاد الذهن وعلو الهمة. وعمل على

إصدار العديد من الكتب والكراسات وترجمها إلى اللغة الفارسية وهكذا ظل مثابراً على نشر الكلمة الهادفة ومعالجة المواضيع الإنسانية الشاملة من أجل خدمة الدين وتحريك الشخصية الإسلامية، وتعميم الخير والتقوى والصالح بين الناس.

وفاته ومراثيه

باغتته المنية قتلاً بحادث سير مؤسف مع شقيقه الأصغر السيد جواد الفالي على خط مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) قاصدين زيارة روضته المطهرة، آمين حرمه المقدس تجديداً لعهد الولاء، وتوثيقاً لروابط الحب والمودة فنالا أجر الزيارة وهما مضرجين بدمائهما الطاهرة، وحملت جنازتهما عابقتين بعطر الشهادة، مشيعتين بالدموع والحسرات مرفوعتين على الرؤوس في مدينة مشهد، وبعد أداء مراسم الزيارة في حرم الإمام الرضا (عليه السلام) للسيد السعيد، توجه موكب التشييع إلى العاصمة طهران وشيعاً فيها تشييعاً مهيباً، ثم انعطف نحو مدينة قم المقدسة ليرقدوا في مثواهما الأخير في الحسينية الزينية وهي إحدى عشرات المؤسسات الخيرية التي سعى في بنائها السيد علي الفالي.

أقيمت على رويهما مجالس الفاتحة ومحافل التأبين ورثاهما كثير من الشعراء والأدباء منهم الشاعر السيد محمد رضا القزويني الذي قال في قصيدة تربو على ثلاثين بيتاً، مطلعها:

أبكي علياً أم جواد الأماجد	شقيقين أبكي أم أرق لوالد
واندب أفواج اليتامى لفقده	أحست بيتهم بعد فقد المساعد
تنوح له دور الحسين أقامها	وفاء أم الأركان عند المساجد
أم الهمة العليا أرسى عمادها	بوادٍ فما ألفت بدلاً لصاعد
علياً عهدناه بكل فضيلة	يمد لها شوقاً بكف وساعد

قراءة في كتاب

قراءة في كتاب (علي في القرآن)

للفقيه المحقق آية الله السيد صادق الشيرازي

حيدر الجراح

أي ألم عرف علي (عليه السلام) فأوصله إلى ذلك الصفاء الأسر، أي ألم غير الألم الذي يصيب العادلين الصديقين؟

كان اليونانيون يعتقدون أن العادل منذور للعذاب وأن الظالم وحده يعرف السعادة. صحيح هذا؟ وهل السعادة تقتضي العذاب؟

لقد كان علي (عليه السلام) عادلاً فعرف العذاب، لكنه لم يعرف الشقاء لأنه لم يكن مرراً، والشقاء مرارة. الشقاء مرارة وعلي (عليه السلام) كان عذباً، الشقاء يأس وعلي (عليه السلام) كان طرياً بالحنان.. كأنه مزيج من الملاك والمحارب، أو مزيج من الفرح والبكاء، أو مزيج من الحلم واليقظة. ولم تطوه الخيبة على حقد، ولا نشوة النصر على طمع.. كان كبيراً..

وكأنه كان يخاف أن يسيء الآخرون تقليد كبره، فكان يحضّ على التواضع، ويتواضع، وكأنه خجول بعظمته، كأنه كان يعتذر عن كونه كبيراً في عالم يكاد لا يحتمل إلا الأوهام، في عالم يكاد لا يتألف إلا من الأقزام. وكان قادراً، قديراً، وكان يحضّ على الرحمة لأنه كان قادراً، قديراً.. إن وجهه هو وجه المحبة، ويده يد الشجاعة، وقلبه قلب كبير..

من أين يستمد علي (عليه السلام) قوته، بعد عشرات القرون من العذاب؟

من أين نرى وجه علي (عليه السلام) ونطالعه بعد أن جفت الحروف ورفعت الأقلام؟

من أين لنا .. هذا الشوق .. والتوق لعلي (عليه السلام) يرقد بين حنايانا وفي شغاف قلوبنا.. بسلام؟

إنه من علي (عليه السلام) منه يبتدأ وإليه ينتهي. وبهذا كان علي (عليه السلام) عدل القرآن.. وشفاؤه الناطقة.. فلقد ألقى علياً (عليه السلام) نظرية على الكون، كما ذكرها الله تعالى في القرآن، فوعى وعياً مباشراً ما في نواميسه من صدق ونيات وعدل، فهزّه ما رأى وما وعى، وجرى في دمه ومشى في كيانه واصطخب فيه إحساساً وفكراً، فتحرّكت شفتاه تقولان: (ألا وإنه بالحق قامت السماوات والعدل في كلمة واحدة)، لما وجدت لفظة تحويها جميعاً غير لفظة (الحق) ذلك لما يتحد في مدلولها في جوهر الكلمات الثلاث.

ولأنه علي (عليه السلام) عدل القرآن، فقد أدرك في أعماقه أن المقايسة تصح أصلاً وفرعاً بين السماء

والأرض اللتين قامتتا بالحق واستوتتا بوجوهه المتلازمة الثلاثة: الصدق والثبوت والعدل..

ولما كان علي (عليه السلام) شديد الملاحظة لصدق الوجود، شديد التفاعل معه، فقد جعل من همه الأول في الناس تهذيب الناس استناداً إلى ما يفعل ويحس ويرى. والتهذيب في معناه الصحيح ومدلوله البعيد ليس إلا الإحساس العميق بقيمة الحياة وشخصية الوجود. ولما كان هذا المعنى هو المعنى الأوحد للتهذيب العظيم، كان الصدق مع الذات ومع كل موجود مادي أو معنوي هو المحور الذي يدور عليه التهذيب.. وهو ما نجده في القرآن الكريم، فإينما تلقيت بين كلماته ووجوده إعجازه، رأيت هذا الصدق في الكلمة، وانفجار المعنى في كل حرف منه..

من هنا، اقتبس علي (عليه السلام) الصدق مع الذات، جمة خبأها في قلبه، يستهدي بها في مشوار حياته، ويجعلها دليلاً في كل حركة أو سكون في حياته..

لقد رضع في مدرسة القرآن، وفطم فيها، واستقام عوده بين آياته، حتى أنك لا ترى انفصاماً بينهما.. فأينما قرأت وكيفما تكون آياته البيانات وجدته أمامك (عليه السلام) شامخاً منتصباً..

فحين تقرأ: (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وجدت علياً (عليه السلام) عادلاً ومحسناً، وحين تقرأ عن الصديقين، وجدته الصديق الأكبر، وحين تقرأ عن المؤمنين وصفاتهم، وجدته أميرهم المبرز، وحين تقرأ عن الزهد والزاهدين، وجدته، الراية والسارية..

وحين تقرأ عن أوصياء الأنبياء على مر التاريخ البشري، وجدته سيدهم ومنار شموخهم، وقُل ما شئت عن بقية الأوصاف والفضائل في القرآن: المتقين، القانتين، الراكعين، الساجدين، الخ.. تجده متربعاً على رأس كل آية يجذب الآخرين نحو نوره..

لأن علياً (عليه السلام) قرآن الله الناطق، فقد أصبح المثل الأعلى للإسلام، المثل الأعلى الذي أراد مؤسس الإسلام أن يعمل المسلمون للبلوغ إليه.. هو المثل العملي المشخص لتعاليم محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله). ظاهرة رفيعة أتم الظهور ومتجلية أحسن التجلي.. فلا تجد فيه (عليه السلام) غير الكمالات البشرية المعرّاة عن النقائص والشوائب والعيوب، القائمة على أسس الفضيلة العالية للأخلاق.

علي (عليه السلام) جوهرة صنعها الله وصاغها نبيه (صلى الله عليه وآله) فازدان بها عقد العروبة والإسلام.. واستفادت بلالانها المشع الأجيال والأحقاب.. مثل أعلى في كل ما هو سام بعيد المنال.

علم، شجاعة، كرم، زهد، ورع، حكمة، أخلاق، فضيلة، عمل، بناء، إنشاء، تضحية، إنسانية كاملة حقيقية.. لقد خلق علي (عليه السلام) إلى ذروة الكمال، لم يستطع لحاقه فيها لاحق، ولو لم يرد عن الرسول (صلى الله عليه وآله) أي حديث أو إشارة في علي (عليه السلام)، ولو سكت القرآن عن أي تلميح إلى فضله، لكان له من صفاته العالية وأخبار عبقريته السامية ما يكفي لحملنا إياه على العظمة ورفعنا إياه فوق كل رفيع..

فما بالك، وقد اجتمعت لديه كل الفضائل، أن يذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتلك الأحاديث، وأن ينزل القرآن فيه من رب العزة بتلك الآيات؟

لقد حاول سماحة آية الله المحقق السيد صادق الشيرازي في عمله الموسوعي الضخم (علي في القرآن) أن يتبع الآيات النازلة في علي (عليه السلام) تنزيلاً، أو تأويلاً، أو مصداقاً أكمل وفرداً أتم، أو تنظيراً..

وقد عمل على جمعها من كتبه العامة سواء ما نقلها منه مباشرة أو بواسطة كتاب آخر قد نقل عنها..

واعتمد سماحة المؤلف على ثلاثة كتب، شكلت المفصلات الرئيسية للاستناد عليها في كتابه هذا، وهي: (شواهد التنزيل) للفقهاء الحنفي الحاكم الحسكاني، و(غاية المرام) للسيد هاشم البحراني، و(ينابيع المودة) للعالم الحنفي الحافظ سليمان القندوزي..

ولم يتطرق سماحة المؤلف لذكر آيات بحق علي (عليه السلام) في كتب الشيعة، مما لم يجد لها مصدراً من تفاسير وكتب العامة..

وقد جمع سماحة السيد المؤلف سبعاً آية جميعها تنطق بفضل علي (عليه السلام). في مفتتح القراءة القرآنية والتي لا يمكن أن يتم شيء بدونها، وهي بسم الله الرحمن الرحيم، نجد الإمام علي (عليه السلام) هو النقطة التي تحت الباء، كما روى القندوزي في ينابيعه.. وهي التي تحوي جميع أسرار الكتب السماوية في القرآن، فجميع ما في القرآن في الفاتحة، وجميع ما في الفاتحة في البسملة، فجميع ما في البسملة في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة في النقطة التي هي تحت الباء.

والباء بلا نقطة يكون حرفاً مهماً لا دلالة له على شيء، وعدد البسملة في القرآن هو ١١٤ وهي تعادل عدد سور القرآن..

أبان الله من فضل وليه، لم ينكره إلا من تولى وكفر، فقال تعالى: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) (الكهف / ١٠٩)، والكلمة الكبرى علي (ع) وتحتها باقي الكلمات.

ثم أبان من فضله ما هو أعلى وأكبر لمن تولى واستكبر، فقال تعالى (ولو أن في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (لقمان / ٢٧) والكلمات كلها حروف الكلمة الكبرى وداخلتها وفائضتها عنها..

ثم أن الله سبحانه أوحى إلى بيته (صلى الله عليه وآله) أن علياً (عليه السلام) معه في السر المودع في فواتح السور، والاسم الأكبر الأعظم الموحى إلى الرسل.. ثم أن الله سبحانه وتعالى صرح بهذا الشرف العظيم في قرآنه الكريم، فقال في السورة التي هي قلب القرآن (يس) - وإنما سميت قلب القرآن لأن باطنها على سر محمد (صلى الله عليه وآله) وعلي (عليه السلام) لمن عرف - فقال سبحانه (يس) والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين)، والياء والسين اسم محمد (صلى الله عليه وآله) ظاهراً وباطناً، والياء والسين اسم علي لأن الولاية باطن النبوة.

وفي (يس) أيضاً قوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) آية: ١٢، حيث روى القندوزي الحنفي عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية، قالوا: يا رسول الله هو التوراة، أو الإنجيل أو القرآن؟ قال (صلى الله عليه وآله): لا

فأقبل إليه أبي فقال (ص): هذا هو الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء.

ثم إن الله سبحانه بشر رسوله بأنه قد رحم أمته، وغفر ذنوبهم، وأكمل دينهم، وأتم نعمته عليه ونصره، وجعل هذه المقامات كلها لعلي (ع)، ونزل ذلك في آية واحدة من كتابه الكريم على رسوله وعلى أمته فقال تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) والفتح كان على يد علي (ع) ثم قال تعالى: ليغفر لرسوله ذنوب من أحب علياً

من الأولين والآخرين إكراماً لعلّي فيحملها عنهم - يعني بعلي - وإليه الإشارة والبشارة بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) (المائدة: ٣) ثم قال تعالى (وينصرك الله نصراً عزيزاً) (الفتح: ٣). وكان النصر في سائر المواطن بأسد الله الغالب علي (عليه السلام).

ثم أن الله سبحانه وصف أنبيائه بأوصاف ووصف ولي نبيه بأعلى منها، فقال في نوح (انه كان عبداً شكوراً) (الأنعام: ٨٣) وقال في علي (عليه السلام) (كان سعيهم مشكوراً) (الأنعام: ٨٣) وأين الشاكر من مشكور السعي؟ ووصف إبراهيم بالوفاء فقال (وإبراهيم الذي وفى) (النجم: ٣٧) وقال في علي: (يوفون بالنذر) (الدھر: ٧).

أضف إلى هذا، أن كل آية في القرآن تبدأ بـ(يا أيها الذين آمنوا) إلا ولعلي (عليه السلام) سابقة فيها، لأنه سابقهم إلى الإسلام، فسماه الله تعالى في تسعة وثمانين وصفاً أمير المؤمنين.. وقد توزعت هذه الآيات على السور التالية:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، الحج، النور، الأحزاب، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، الصف، الجمعة، المنافقون، التغابن، التحريم.

وأيضاً ما في القرآن آية (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) إلا وعلي (عليه السلام) أميرها وشريفها.. وهي واحدة وخمسون آية توزعت على السورة التالية:

البقرة، النساء، المائدة، الأعراف، يونس، هود، الرعد، إبراهيم، الكهف، مريم، الحج، النور، الشعراء، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، سبأ، فاطر، صاد، غافر، فصلت، الشورى، الجاثية، محمد، الفتح، الطلاق، الانشقاق، البروج، التين، البينة، العصر.

لقد توزعت الآيات النازلة في علي (عليه السلام) في القرآن على الشكل التالي:

السورة	عدد الآيات	يوسف (عليه السلام)	١
الفاحة	٣	الرعد	١١
البقرة	٤٠	إبراهيم (عليه السلام)	٩
آل عمران	٣١	الحجر	٧
النساء	١٦١	النحل	٩
المائدة	٢٢	الإسراء	١٣
الأنعام	١٠	الكهف	١١
الأعراف	١٣	مريم (عليها السلام)	٣
الأنفال	١٧	طه	٩
التوبة	١٩	الأنبياء	٧
يونس (عليه السلام)	١٩	الحج	٢٠
هود (عليه السلام)	١٠	المؤمنون	٨

٢	الأحقاف	٩	النور
٢٥	محمد (صلى الله عليه وآله)	٧	الفرقان
٤	الفتح	٦	الشعراء
٦	الحجرات	١٠	النمل
٣	ق	٩	القصص
٢	الذاريات	١٢	العنكبوت
١٢	الطور	٣	الروم
٨	النجم	٢	لقمان
٢	القمر	٣	السجدة
٤	الرحمن	١٥	الأحزاب
٢٠	الواقعة	٢	سبأ
٤	الحديد	١٠	فاطر
٦	المجادلة	٣	يس
١	القدر	٣	الصافات
٢	البينة	٤	ص
٦	العاديات	١٠	الزمر
٢	القارعة	٤	المؤمن
١	التكاثر	٤	فصلت
٤	العصر	٤	الشورى
٢	الكوثر	١١	الزخرف
٢	النصر	٨	الدخان
٥	الإخلاص	٢	الجاثية

ولا يفوتنا أن نذكر هنا، أن سورة الدهر كاملة نزلت في علي (عليه السلام) والزهراء فاطمة (عليها السلام) والحسين (عليهما السلام) في قصة المرض والنذر بالصيام، المعروفة.
يقع الكتاب في مجلدين من ١١٩١ صفحة، وقد صدر عن دار العلوم بطبعة ثالثة..

جولة الكلمة

مؤسسة دار العلوم

مشاركة دار العلوم في معرض بيروت للكتاب مشاركة دار العلوم في معرض طهران للكتاب
مؤسسة دار العلوم أحد الدور المختصة بنشر الكتب الإسلامية والعلمية والثقافية التي تهتم بتنمية الوعي
وتعميم الثقافة الإسلامية عالمياً، وركزت مطبوعاتها على فكر أهل البيت ومؤلفات سماحة السيد المرجع (دام
ظله) لما فيها من شمولية لفكر أهل البيت وترجمته. لذلك ارتأت الكلمة الطيبة أن تلتقي بسماحة الشيخ محمود
شاكر مدير مؤسسة دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ليطلعنا على نشاطات هذه المؤسسة
ومشاركاتها في المعارض الدولية وبرامجها المستقبلية.
الكلمة الطيبة: كيف تتعامل المؤسسة مع الكتاب وما هي الكتب التي تراها المؤسسة جديرة بالنشر
والتوزيع؟

الشيخ محمود: في البدء أودّ أن أشكر أسرة تحرير مجلة (الكلمة الطيبة) والأخوة العاملين فيها حيث هيأوا
لي هذه الفرصة لأبين باختصار برامج (دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع)، وأشير إلى بعض
نشاطاتها خلال السنوات الماضية.

بشكل عام نتعامل مع الكتب الإسلامية والثقافية والعلمية، وكل ما هو مفيد للقراء الكرام نسعى في نشره
وتوزيعه، ونرى أن مجموعة مؤلفات الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) لها دور كبير في تثقيف
الأمة الإسلامية وبتّ الوعي الديني والحضاري للشباب المسلم، وقد تجاوزت مؤلفاته ألف كتاب وكراس، فهناك
توجّه خاص من قبل المشرفين على دار العلوم لطباعة ونشر كتب سماحته، وفي قمة هذه الكتب (الموسوعة
الفقهية) التي بلغت ١٥٠ مجلداً وهي أكبر موسوعة فقهية استدلالية في الشريعة الإسلامية في العالم الإسلامي.
فحقاً الإمام الشيرازي هو نادرة التاريخ في التأليف.

كما أنجزنا طباعة بعض كتب الفقيه المحقق آية الله السيد صادق الشيرازي (دام ظله) والمفكر الإسلامي
الشهيد المقدس السيد حسن الشيرازي (رضوان الله عليه). كما نسعى لجذب اهتمام الكتاب الإسلاميين بشكل
عام وتشجيعهم على الكتابة في مجالات الحياة التي تهتم الإنسان وتحافظ على كيانه بالإضافة إلى سعيها الدؤوب
لجعل الكتاب في متناول القارئ الكريم في سبيل تثقيف الأمة وتوعيتها وحلّ مشاكل المجتمع وأزماته الفكرية.
الكلمة الطيبة: ما هي الأهداف الرئيسية من وراء عمل المؤسسة؟

الشيخ محمود: من الواضح أن كل دار ومؤسسة تجعل من أهدافها نشر الثقافة التي تعتقد بها. وكذلك
بالنسبة لنا، فالهدف هو نشر ثقافة الإسلام والقرآن وسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته
الطاهرين (عليهم السلام). ويتم ذلك عبر طباعة تلك الكتب أحياناً، وعبر توزيعها في أنحاء العالم من خلال

المشاركة في المعارض الدولية، ليتعرف العالم الإسلامي وغيره على فكر أهل البيت (عليهم السلام) والمبادئ الإسلامية الحقّة.

وأحياناً عبر حث ذوي الأقلام المفيدة للتصدي لما يتطلبه المجتمع من احتياجات في شؤون الحياة المختلفة وما يستجد فيها، والكتابة في المسائل المطروحة كالسلم واللاعنف، والحريات الإسلامية، وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وشؤون تربية الطفل وما أشبه.

الكلمة الطيبة: هل للمؤسسة برامج مستقبلية؟

الشيخ محمود: تُعرف البرامج المستقبلية للدار مما برمجناه خلال السنوات الماضية، حيث كان السعي لنشر الكتب التي تصب في مصلحة المجتمع الإسلامي، وبالطبع من أهم برامجنا هو السعي لطباعة ما لم يطبع من سلسلة مؤلفات الإمام الشيرازي المتنوعة في مختلف العلوم، من الفقه والأصول والكلام والقانون والسياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس وعلم التربية وعلم الأخلاق والتاريخ والتفسير وعلوم القرآن والحقوق وقضايا المرأة والبيئة والحرب والسلام، وما أشبه.

وإعادة طباعة الكتب التي نفذت وعليها إقبال، فإن هذه المؤلفات تشكل ثروة هائلة في إغناء المكتبة الإسلامية.

ومما يسرنا في هذا المجال هو ما نراه من الإقبال الكبير على كتب سماحة الإمام الشيرازي وتأثيره الملموس في توعية الأمة الإسلامية والشباب المسلم بشكل خاص.

ومن برامجنا أيضاً: إنشاء موقع على الانترنت وذلك للتعريف بمطبوعات الدار ومبيعاتها والتعرف على سائر دور النشر العالمية والتنسيق معها في سبيل نشر الفكر الإسلامي.

وأيضاً: نظراً للإقبال الكبير الذي رأيناه في مختلف الدول على كتب سماحة الإمام الشيرازي عبر المعارض التي شاركنا فيها، فنأمل بمشاركة أفضل وأشمل وأوسع في معارض الكتاب القادمة الدولية والغربية منها.

الكلمة الطيبة: هل للمؤسسة هيكلية إدارية، وممن تتكوّن؟

الشيخ محمود: هناك لجنة إدارية لدار العلوم وهي المشرفة على نشاطها، وأنا أمثل الدار في مختلف البرامج وهناك بعض الموظفين للإدارة، والمتابعات اليومية.

نشاطات دار العلوم

شاركت مؤسسة دار العلوم بعدة معارض وفي دول عديدة ولاقت إقبالاً واسعاً على مؤلفات سماحة السيد المرجع (دام ظله) إلى حد فاق التوقعات.

حيث شاركت الدار في معرض البحرين في شهر شباط/ ٢٠٠٠ بواسطة مؤسسة الوفاء، وشاركنا في معرض طهران الثالث عشر للفترة من ٨ - ١٨/٥/٢٠٠٠، وكانت المشاركة بثلاثة كتب لسماحة السيد المرجع (دام ظله) وهي (الموسوعة الفقهية، تلك الأيام، وفقه البيئة) وقد علمنا من الدار العارضة أن الإقبال فاق التوقع وتم بيع ٩٥% من الكتب.

وفي مشاركتنا في معرض بيروت/ ٤٤ والذي أقيم للفترة من ٣-١٧/١١/٢٠٠٠، والتي كانت الأولى في لبنان، تلقينا استفسارات عديدة حول الموسوعة الفقهية لسماحة السيد المرجع (دام ظله) مما اضطرنا لتوزيع

منشور (نادرة التاريخ). ودخلنا في مسابقة أفضل إخراج لكتاب، وتم التعرف على مكتبة مدبولي في مصر. وشاركنا في معرض الكويت في شهر كانون الأول/٢٠٠٠، وتمت المشاركة بعدة كتب سماحة السيد بواسطة دار الأضواء.

وشاركنا أيضاً في معرض مصر للفترة من ١٢/١-١٢/٢٠٠١، وتمت المشاركة بعد تعرفنا على مكتبة مدبولي كما ذكرت آنفاً، وتم إرسال الكتب بطريقة المبادلة، وعلمنا من مكتبة مدبولي أن الكتب المرسله إليها قد تم بيعها جميعاً وعليه تم طلب المزيد من كتب سماحة السيد المرجع (دام ظله). وفي عمان كانت لنا مشاركة في آذار/٢٠٠١، بالعاصمة مسقط، تم فيها بيع العديد من كتب سماحة السيد المرجع (دام ظله) والمشاركة تمت عبر دار الأضواء.

وشاركنا في معرض لبنان/٧ مرة ثانية للفترة من ١٥-٢٥/٣/٢٠٠١، وخصّص لنا جناح مساحته ١٥ متر مربع لذلك كان لنا حضور واضح والتقىنا بعدة وفود من دول عربية وتم توزيع منشوراتنا لإيضاح عدد الكتب المشارك بها، ولمسنا اهتماماً كبيراً لممثلي الدول في الأردن، اليمن، السودان، ومصر، لفخامة ونوعية مؤلفات السيد المرجع (دام ظله).

ولحصولنا على الخبرة اللازمة في العرض، كانت لنا حوارات ونقاشات كثيرة مع أساتذة الجامعة في لبنان وعند توزيع منشور (نادرة التاريخ) احتجت إحدى الباحثات وهي بدرجة دكتوراه في جامعة بيروت وقالت: لا تظلموا سماحة السيد بقول (نادرة) فالنادرة ممكنة التكرار، إنما هو معجزة في التأليف.

وأخيراً مشاركتنا في معرض طهران الرابع عشر للفترة من ٨-١٨/٥/٢٠٠١، وشاركنا مباشرة بدون توسيط أو توكيل. وكانت المشاركة بعد انقطاع طويل عن جمهور ومقلدي سماحة السيد (دام ظله) لذلك كان لنا حضور خاص ومميز لقي إقبالاً من قبل المسؤولين والعاملين في مجال التأليف والثقافة، وكان لنا لقاء مع تلفزيون الجمهورية الإسلامية/القسم العربي ولقاء مع إذاعة طهران العربية والفارسية. وجدير ذكره أننا بالرغم من مشاركتنا الأولى في المعرض وبعد انقطاع طويل فقد بلغت نسبة البيع ٧٥% من الكتب المرسله ومعظمها كتب سماحة السيد المرجع (دام ظله).

أهم منشورات دار العلوم

(إحياء الميت بفضائل أهل البيت (عليهم السلام)) جلال الدين السيوطي

(أصول الدين بين السائل والمجيب) الشيخ محمد المقدس

(أصول الفقه) الشيخ المفيد

(أكرمتني السماء (العودة المباركة إلى النعمة الإلهية)) مروان خليفات

(الاجتماع) آية الله العظمى الإمام الشيرازي

(الإدارة) آية الله العظمى الإمام الشيرازي

(الاستغاثة) أبو القاسم الكوفي

(الاستخارة المجربة)

(الأصول) آية الله العظمى الإمام الشيرازي

(الاقتصاد) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(الألفين في أحاديث الحسن والحسين (عليهما السلام)) الشيخ علي حيدر المؤيد
(الإمام الحسين (عليه السلام) استراتيجية وموقف) محمد تقي باقر
(الإنسان بين السمو والسقوط) محمد تقي باقر
(أنيس العريس) مرتضى الحسيني
(أهل البيت (عليهم السلام) امتداد القرآن) الشيخ كمال معاش
(البيئة) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(البيع) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(التدبر في القرآن) العلامة السيد محمد رضا الشيرازي
(التكتم في الإسلام) محمد تقي باقر
(التوازن في شخصية الإمام علي (عليه السلام)) محمد تقي باقر
(تاريخ الأحمدي) الأمير أحمد حسين بهادر خان الهندي
(تاريخ الحركة العلمية في كربلاء) نور الدين الشاهرودي
(تاريخ النقود الإسلامية) المازندراني
(تأملات في الصحيحين) محمد صادق نجمي
(الثغور الباسمة في فضائل فاطمة (عليها السلام)) جلال الدين السيوطي
(جامع مناسك الحج) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(خفايا أموية) محمد مرتضى القزويني
(خواطر إسلامية) سلمان هادي آل طعمة
(خواطري عن القرآن) آية الله السيد حسن الشيرازي
(دعاء الصباح) العلامة محمد باقر المجلسي
(رأس الحسين (عليه السلام) من الشهادة إلى الدفن) حسين عبد الأمير النصراوي
(سبل التحصيل في الحوزة العلمية) حسين الصباح
(السياسة) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(السياسة من واقع الإسلام) آية الله السيد صادق الشيرازي
(الشعائر الحسينية) آية الله السيد حسن الشيرازي
(شعاع من نور فاطمة (عليها السلام)) العلامة السيد مرتضى الشيرازي
(شورى الفقهاء) العلامة السيد مرتضى الشيرازي
(الشيعة الإمامية بين النصوص الدينية والتضليلات الإعلامية) الشيخ علي الباميانى
(صفة الجنة والنار) سعيد بن جناح الكوفي
(عوامل التغيير الاجتماعي) قاسم الحسيني الحائري
(العلاقات العامة - بحث نفسي اجتماعي بنظرة إسلامية) فؤاد الصادق

(العقائد الإسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(عليه السلام) في القرآن آية الله السيد صادق الشيرازي
(الفقه - الموسوعة الاستدلالية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(الفقه - حول السنة المطهرة) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(الفقه - المسائل المتجددة) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(الفقه - العقائد) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(قصة الحولاء مع زوجها) محمد تقي باقر
(كلمة الإمام الحسين (عليه السلام)) آية الله السيد حسن الشيرازي
(كلمة فاطمة الزهراء (عليها السلام)) آية الله الشهيد السيد حسن الشيرازي
(المآذ تأخر المسلمون) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(المسائل الإسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(المرأة ريحانة) السيد نعمة الله الهاشمي
(مطارحات مع قادة الفكر الإسلامي)
(المعارف الإسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(مبادئ في مناهج البحث العلمي) فؤاد الصادق
(محنة أمير المؤمنين (عليه السلام)) محمد بن محمد بن النعمان المفيد
(مختصر جواهر الكلام) القاضي ناصح الدين الآمدي
(مشكلة تدوين الحديث في عصر النبي (صلى الله عليه وآله)) غالب حسن الشاهبندر
(مصفى المقال في علم الرجال) الشيخ آغا بزرك الطهراني
(مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي) ويليه منتخب المسائل الإسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(مفاتيح الرحمة) الشيخ علي حيدر المؤيد
(مقدمات) آية الله السيد حسن الشيرازي
(من نثر اللنالي) محمد تقي باقر
(من نواذر الحكماء) محمد تقي باقر
(منتخب المسائل الإسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(منية الأديب في شرح الباب الرابع من مغني اللبيب) الشيخ شاکر الأنصاري
(نحو يقظة إسلامية) آية الله العظمى الإمام الشيرازي
(نصرة المظلوم) الشيخ حسن المظفر
(وفاة فاطمة الزهراء (عليها السلام)) حسين البحراني
(وقتك حياتك) السيد محمد العلوي
(اليقين والتحصين في إمرة أمير المؤمنين (عليه السلام)) العلامة ابن طاووس

صدر حديثاً

(مختصر ينابيع المودة) الشيخ سلمان القندوزي

(الأجساد الخالدة) علي أكبر مهدي

(حوار عقائدي) فاضل محمد

(العقد الثمين) محمد بن علي الشوكاني

(الليالي ببشاور) السيد محمد الموسوي الشيرازي

(الأخلاق والآداب) إعداد هيئة محمد الأمين

(رجاء الصالحين) إعداد صالح العويدي

استراحة العدد

مواظب وحكم

قال النبي (صلى الله عليه وآله): إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، وإن الكافر ليرى ذنبه كأنه ذباب مرّ على أنفه.

وقال الإمام علي (عليه السلام): ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب.
وقال الإمام الباقر (عليه السلام): عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء، كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) في طلب العلم: من طلب باباً من العلم ليحيى الإسلام، كان بينه وبين الأنبياء درجة في الجنة.

مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جماعة يتذكرون. فقال لهم: شُوبوا حديثكم بذكر الموت.
لما توفي الإسكندر وضع في تابوت من ذهب، فتقدم إليه أحد الحكماء فقال:
كان الملك يُخبئ الذهب، وقد صار الآن الذهب يخبؤه.
وقد قال أحد الشعراء عن الموت:

ستندم إن رحلت بغير زاد	وتشقى إذ يناديك المنادي
أترضى أن تكون رفيق قوم	لهم زاد، وأنت بغير زاد؟

مواقف تربوية

الزاهد المراني

كان شخص يعرف بين الناس بأنه زاهد. وفي أحد الأيام نزل ضيفاً عند الملك فأكل أقل مما يأكل وأطال صلاته أكثر من المعتاد لديه.

ولما رجع هذا الزاهد المراني إلى بيته، أكل مرة ثانية، فانتبه ولده الذكي أن أباه لم يأكل من طعام الملك بقدر ما يكفيه، وعندما سأل عن السبب في ذلك، أجاب الزاهد: لم أكل كثيراً عند الملك لاحتفظ بسمعتي أي زاهد حتى أنتفع بها يوماً ما.

قال الولد: إذأ عليك أن تقضي صلاتك التي لم تصلها هناك كما ينبغي، حتى تنفعك يوماً ما عند الله.

الإكراه على العبادة

كان أحد الأشخاص (والعياذ بالله) منكرًا للخالق والمعاد، مع أن والده كان من المؤمنين وكان هذا الرجل لا يلتزم بأي من الأصول والفروع الدينية. فسأله شخص: لماذا صرت هكذا في الوقت الذي لك والد مؤمن ومتق وورع؟

أجاب ذلك الرجل قائلاً: (إن والدي كان هو الذي حملني على أن أكون هكذا، إنني أتذكر عندما كنت طفلاً ناشئاً، كان والدي يوقظني عند الفجر في كل يوم لأتوضأ وأقوم للصلاة والدعاء، وكان عمله هذا شاقاً عليّ وكنت لا أطيقه فبدأت شيئاً فشيئاً أنفر من التعبد والصلاة ورغم مرور سنين على هذا الحادث فإنني لا أزال غير راغب في أي من المقدسات والمعتقدات الدينية).

طرائف

قال الزوج لزوجته عندما كان غاضباً: لماذا خلق الله النساء جميلات وغيبات؟ أجابته زوجته: خلقنا جميلات لكي يحبنا الرجال، وغيبات لنرضى بالعيش معهم على هذه الحال!

سئل بعض العرب عن اسمه فقال: بحر. قيل: ابن من؟ قال: ابن فياض. قيل: ما كنيتك؟ فقال: أبو الندى! فقال السائل: لا ينبغي لأحد لقاءك إلا في زورق.

رفض أعرابي دفع أجرة تسجيل ولده في مدرسة قائلاً: هذا المبلغ سأشتري به حماراً: فقال له مدير المدرسة: نعم هذا أفضل حتى يصير عندك حمارين!

طب ودراسات طبية

اكتشاف جينة فقد الشهية

اكتشف باحثون هولنديون أن شكلاً معيناً من أشكال جينة وراثية تتدخل في التحكم بالشهية يعد أكثر شيوعاً عند الأشخاص الذين يعانون من فقد الشهية، وهو اكتشاف يشير إلى أن تشوش النظام الدماغي المسؤول عن تنظيم استهلاك الطعام يساهم في اضطرابات الشهية. ومع أن الباحثين يعرفون منذ سنوات أن فرص المعاناة من اضطرابات الطعام تعتمد إلى حد ما على عامل الوراثة، إلا أن هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها التعرف على جينة معينة مرتبطة بمرض فقد الشهية. وأجريت الدراسات على ١٤٥ شخصاً ممن يعانون من فقدان الشهية و ٢٤٤ شخصاً سليماً، ووجد فريق البحث أن وجود نسخة معيّنة من جينة تحفيز الشهية ضاعف احتمالات معاناة الشخص من فقد الشهية. ومن المؤكد أن هذه ليست الجينة الوحيدة التي لها علاقة بالمرض، إذ يعتقد الباحثون أن العديد من الجينات تعمل معاً، إضافة للعوامل البيئية، لتتسبب باضطرابات الطعام.

دواء هندي رخيص (للإيدز)

في مجال (الإيدز) أيضاً أعلنت شركة هندية لصناعة الأدوية أنها توصلت إلى علاج زهيد الثمن لـ (الإيدز) يمكن للفقراء المرضى به الاستفادة منه. ومعروف أن أدوية (الإيدز) الحالية التي تحتكرها شركات صناعة الدواء الغربية (على وجه الخصوص) تكلف المريض آلاف الدولارات سنوياً. أما الدواء الهندي الجديد المؤلف من ثلاثة عقاقير والمتضمن المفعول نفسه للدواء الغربي، فلن يكلف المريض أكثر من ٣٥٠ دولاراً أمريكياً سنوياً.

نمو المخ لا يتوقف عند المراهقة

قال علماء: إن مظهراً رئيسياً لنمو المخ يستمر حتى سن الخمسين تقريباً. ويتعارض هذا الاستنتاج مع وجهة النظر السائدة القائلة، أن هذا التطور ينتهي قبل سن العشرين. وقد تساعد هذه النتيجة في تسليط الضوء على أمراض تصيب المخ مثل: الزهايمر وانفصام الشخصية.

واستخدم الباحثون في دراستهم، التي قادها جورج بارتسوكيس الطبيب بوزارة شؤون المحاربين القدماء الأميركية، أشعة الرنين المغناطيسية لقياس تطور المخ لدى سبعين رجلاً طبيعياً تتراوح أعمارهم بين ١٩ إلى ٧٦ عاماً وتوصلت الدراسة إلى أن ما يسمى بالشيء الأبيض (المادة البيضاء) الذي يرسل إشارات من جزء في المخ إلى آخر يستمر في نموه في الفصوص الأمامية والصدغية حتى سن ٤٨ في المتوسط. وأكد الباحثون أن ما يسمى بالشيء الرمادي (المادة الرصاصية)، أي القشرة المخية تصل إلى قمة نموها في نهاية مرحلة المراهقة ثم تأخذ في الضعف حتى مرحلة الشيخوخة. وعلق بارتسوكيس في مقابلة قانلاً: (لو شبهنا المخ بشبكة الإنترنت فإن الشيء، الرمادي سيكون جهاز الكمبيوتر والشيء الأبيض هو خطوط الهاتف التي تصل جهاز الكمبيوتر بغيره من أجهزة الكمبيوتر).

لا تصروا على استخدام (الخليوي) حينما تكون ظروف استقباله سيئة

حذر العلماء من الإصرار على استخدام الهاتف النقال (الخليوي) عندما تكون ظروف الاستقبال والإرسال سيئة كما نصحوا الأهالي بأن يجنبوا أطفالهم استخدام هذا الهاتف قدر الإمكان. هذا التحذير وتلك النصيحة جاءا في تقريرين منفصلين لعلماء بريطانيين وفرنسيين حول مضر (الخليوي). أما السبب المباشر، فهو الإشعاعات التي تصدر عن هذا الهاتف. وعلى الرغم من تأكيد العلماء على عدم ثبوت أية مخاطر صحية نتيجة استخدام (الخليوي) حتى الآن (نظراً لحدثه)، فإن مجرد صدور الإشعاع عن هذا الهاتف يعتبر لوحده، أمراً غير مقبول صحياً. والإشعاع يضر بالكبار، فكيف بالصغار الذين يفتخر بعض الأهالي بأن أطفالهم يستخدمونه... بجدارة!

اضحك.. يسلم قلبك

قال باحثون إن الضحك ربما كان أفضل علاج لأمراض القلب وذلك عند نشر دراسة أظهرت أن من يضحكون أكثر يكونون أقل تعرضاً للإصابة بأمراض القلب. وأعلن الدكتور مايكل ميلر مدير مركز الوقاية من أمراض

القلب في جامعة ماريلاند في بالتيمور: (يبدو أن القول البديهي القديم بأن الضحك خير علاج تتضح صحته في ما يتعلق بحماية قلبك). وأضاف: (هذه هي الدراسة الأولى التي تظهر الصلة بين الضحك وبين أمراض القلب). وقال ميلر وزملاؤه في اجتماع لرابطة أطباء القلب الأمريكيين أنهم يعتقدون أن الضحك يفرز في ما يبدو مواد كيميائية تهدئ الأوعية الدموية. وأضاف: (ليس الأمر مجرد إصدار صوت الضحكة وإنما الضحك من القلب).

ارتفاع نسبة تناول مهدئات الأعصاب بإسرائيل منذ الانتفاضة

كشفت دراسة جديدة في إسرائيل أن ارتفاعاً حاداً بنسبة ٢٢% حصل في تناول الحبوب وغيرها من الأدوية المهدئة منذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية في سبتمبر (أيلول) الماضي. وقال (أفي فرتشيك) مدير التسويق في شركة (ميديتيك) منتجة الحبوب المهدئة: إن واحداً من كل خمسة إسرائيليين تناول المهدئات خلال تلك الفترة، وإن هذا الرقم ينطوي على زيادة بنسبة ٢٢% عن الفترة نفسها من السنة الماضية. وعزا الخبراء هذا الارتفاع إلى عدة أسباب أهمها: التدهور الأمني جراء المواجهات الإسرائيلية - الفلسطينية وما ينجم عنه من توتر دائم وفقدان للأمان، والازمة في فرع التكنولوجيا العالية (هاي تيك) وارتفاع نسبة البطالة.

كآبة وراتب مرتفع

العبوس خلال العمل أفضل من الابتسام، ويرفع راتب الموظف! وأصحاب الشعر البني الفاتح والطول الفارع ينالون رواتب أعلى من غيرهم. وأصحاب الشعر الأشقر (رجالاً ونساءً) هم الأسوأ حظاً في العمل! أما صبغ الشعر وتغيير لونه فهو لا يفيد ولا يغيّر من واقع الحال شيئاً!! هذه هي نتيجة الدراسة التي أجريت في أيسلندا أخيراً وشملت ٣٤٠٠ عامل، و(كشفت) أن طوال القامة أصحاب الشعور البنية الفاتحة يحصلون على رواتب أعلى من زملائهم الأقل طولاً!! لقد أظهرت الدراسة التي لا نعرف رأي العلماء فيها بعد، أن رواتب الموظفين الشقر تقل عشرة في المائة عن زملائهم من ذوي الشعر البني الفاتح الذين يبلغ متوسط راتبهم الشهري ٢٧٠٠ دولار. وجاء أصحاب الشعر البني الغامق في المركز الثاني يعقبهم أصحاب الشعر الأحمر ثم الأشيب. وتقدم كل هؤلاء على الشقر. كما تحصل المرأة الإيسلندية على راتب يقل عن الرجل بنسبة ١٨ في المائة.

المياه المعدنية غير سليمة تماماً

من الممكن للمدمنين على شرب المياه المعدنية، بما فيها تلك الغالية الثمن، أن تكون أموالهم تذهب هدرًا. فقد بيّنت دراسة أجراها (الصندوق الدولي للطبيعة) في جنيف أن المياه المشتراة في أوعية مخنومة (ليست بالضرورة أسلم من المياه التي تصل المنازل في الأنابيب، على الرغم من أن سعرها أعلى بحدود الألف مرة). وعزت الدراسة السبب إلى أن مصالح المياه التابعة للحكومات، لا سيما في أوروبا وأميركا الشمالية، تطبق معايير أكثر دقة للتأكد من سلامة المياه مقارنة بالشركات المنتجة للمياه المعلبة. يذكر أن مبيعات شركات المياه

المعدنية في العالم تتجاوز الـ ٢٢ مليار دولار أميركي في السنة الواحدة. وقد اتهمت (الجمعية الدولية للمياه المعبأة) وهي جمعية أميركية تمثل ٨٠% من شركات المياه المعدنية في الولايات المتحدة، معدّي الدراسة (بتشويه الكثير من الحقائق).

تقنيات وانترنت

سوبر كمبيوتر بحجم (الشخصي)

طور العلماء في الولايات المتحدة حاسوباً جباراً (سوبر كمبيوتر) مدمجاً بحجم الكمبيوتر الشخصي،، قد يحدث ثورة في صناعة التكنولوجيا، حيث يعالج المعلومات بسرعة تفوق بـ ١٠٠٠ مرة سرعة الكمبيوترات التقليدية. ويقوم بإنجاز مليارات العمليات الحسابية في آن واحد، كما أنه أكثر براعة وسرعة من جميع الكمبيوترات السوبر الموجودة في السوق حالياً.

ثورة في إنتاج الرقائق

يقول المهندسون أنهم توصلوا إلى طريقة ثورية لصنع رقائق حاسوبية سوبر تسمح بمواصلة تطوير سرعة وقوة أجهزة الكمبيوتر. ويؤكد العلماء أن التقنية الجديدة تلعب دوراً حاسماً لإطالة بقاء (قانون مور) الذي يقول بأن سرعة وقوة أجهزة الكمبيوتر ستتضاعفان كل ١٨ شهراً. وقد طبقت صناعة أشباه الموصلات هذا الرأي المأثور طيلة ٤٠ عاماً تقريباً. لكن باستخدام التكنولوجيا الحالية يواجه صانعو الرقائق الحاسوبية مشكلة حتمية الاصطدام بحائط مسدود في غضون ٥ أعوام يستحيل بعده تحسين قدرة الرقائق الحاسوبية التي ستكون قد بلغت مداها الأقصى. وبالتعاون مع شركات تصنيع الرقائق، طوّرت المختبرات الوطنية تقنية تصنيع جديدة من نوعها تستخدم الطول الموجي الضيق للضوء فوق البنفسجي الأقصى لحشو رقائق السيليكون بكميات أكبر من المعلومات، وتقاسيم الرقائق الحاسوبية الجديدة صغيرة جداً لدرجة أنه لا يمكن رؤيتها إلا بالمجهر الإلكتروني. وتستخدم التقنية الحالية الضوء البنفسجي المرئي ويتراوح طوله الموجي عادة بين ٢٤٨ و ١٩٣ نانو متراً لحفر الدارات على رقائق السيليكون. لكن هذا يحصر حجم تقاسيم الرقاقة في ذلك الحجم الموجي الذي يعادل حوالي ١/١٠٠٠ من عرض الشعرة البشرية. أما الضوء البنفسجي الأقصى فطوله الموجي يبلغ حوالي ١٣ نانو وهو ما يسمح بطباعة مجال محيط بعرض ٤٠ ذرة فقط.

كمبيوتر صغير للإنسان

توصل العلماء الفرنسيون إلى صناعة جهاز لتحسين السمع يعتمد على نظام رقمي، للحصول على جودة تفوق بكثير تلك التي توفرها الأجهزة المعتمدة حتى الآن، الجهاز الجديد مزود بمعالج رقمي صغير يتأقلم مع البيئة التي يتواجد فيها مستخدمه ويلتقط الأحداث بشكل دقيق وصاف، حتى ليظن الشخص أنه استعاد سمعه بشكل كامل.

تفيد الإحصاءات في فرنسا أن بين ٣ و ٤ ملايين شخص يعانون من ضعف السمع، وخصوصاً لدى المسنين

أو لدى الشباب الذين يستخدمون المسجل النقال بشكل مفرط. إلا أن كلفة الجهاز الثوري الجديد باهظة، إذ تبلغ حوالي ألفي دولار للوحدة، أي ضعف كلفة الأجهزة الكلاسيكية، على أمل أن يساعد انتشار هذا الجهاز في تخفيض كلفته.

تزايد المستفيدين من الإنترنت لأغراض دينية في أميركا

أظهرت دراسة جديدة أن حوالي ثمانية في المائة من البالغين و ١٢ في المائة من المراهقين في الولايات المتحدة يستخدمون شبكة الإنترنت لأغراض دينية أو روحية، وأن من المرجح أن تزداد النسبة بسرعة في السنوات المقبلة.

تقنية باليز تحدد المكان بالضبط

أنجبت شركة باليز تكنولوجي نظاماً للأمان المطلق، يمكنك من خلاله إيقاف تشغيل سيارتك المسروقة، وتحديد موقعها، تمهيداً لاستعادتها. ويعتمد هذا النظام على المزاوجة بين نظام الاتصالات عبر الهاتف النقال ونظام جي بي أس لتحديد الموقع بواسطة الأقمار الاصطناعية. ويوضع الجهاز الذي يحتوي على نظام جي أس أم المرتبط بالمحرك في صندوق صغير بمكان سري في السيارة. وفي حال سرقة السيارة أو حتى محاولة سرقته يتولى الجهاز إرسال رسالة إلى هاتفك النقال على مدى ٢٤ ساعة في اليوم، سواء على الخط المباشر أو عن طريق الإنترنت على العنوان الإلكتروني. وبمجرد الضغط على الزر في الهاتف النقال يستطيع مالك السيارة إطلاق إضاءة السيارة وصفارة الإنذار مهما كان بعد سيارته عنه، كما يمكن إيقاف جهاز تدوير المحرك عن العمل. وبفضل نظام تحديد المكان جي بي أس يمكن لشركة باليز تحديد موقع وجود السيارة، وإبلاغ السلطات بالأمر.

البريد الإلكتروني والهاتف الخليوي لحماية المنزل من اللصوص

(إن كونترول) inControl نظام متكامل لأتمتة المنزل وضمان أمنه وسلامته، وهو من إنتاج شركة (ديجيتال سايبير ماسترز) Digital Cybermasters. تتضمن رزمة (إن كونترول) وحدة إرسال تسمح بالاتصال بنظام (وندوز Windows) وتربط المستخدم بالمنزل في أي مكان يتواجد، وهو يسمح باستعراض الغرف من خلال آلات تصوير تلفزيونية متصلة ببعضها عبر دائرة مغلقة. كما يمكن التحكم بالمعدات المنزلية الكهربائية. وتوفر تسهيلات خاصة لأتمتة متكاملة لكافة الأدوات والمفروشات القابلة للأتمتة وتسمح بإضاءة المصابيح أو فتح الستائر أوتوماتيكياً. في حال تعرض المنزل لأي خطر مباغت يشغل (إن كونترول) جهاز الإنذار أوتوماتيكياً حيث يتولى إعلام المستخدم بالخطر المحدق عبر نظام الرسائل القصيرة (أس أم أس) SMS أو البريد الإلكتروني. تبلغ الكلفة

المحلية للنظام ٢٩٩ جنيهاً إسترلينياً تشمل اشتراكاً مجانياً بالخدمة المرفقة لمدة ١٢ شهراً. وتبلغ كلفة الاشتراك الشهري بعد انقضاء فترة الاشتراك المجاني ٩,٩٩ جنيهاً إسترلينياً شهرياً للتولوج البعدي والمراقبة الأمنية على مدى ٢٤ ساعة.

فيروس يوجه مستخدميه لمواقع إباحية

ضرب فيروس كومبيوتري يوجه من مستخدمى الإنترنت نحو المواقع الإباحية للشبكة الدولية للمعلومات، شبكات الكمبيوتر في مناطق حول العالم ووصل فيروس Homepage (هوم بيج) إلى بريطانيا من الشرق الأقصى وأستراليا، ثم بدأ يضرب شبكات الشركات المالية ودور النشر في لندن. وتناقلت الأنباء أن الفيروس عطل عمل شبكة الكمبيوترات في البرلمان الأسترالي. وقال أحد خبراء شركة (سوفوس) لمكافحة الفيروسات الكمبيوترية أن شركته تلقت تقارير من ٨٠ شركة ضربها الفيروس الجديد، ويتخوف من أن العديد من هذه الشركات قد أرسلت ما يقرب من ١٠٠ ألف رسالة انتقلت عدوى الفيروس نحوها.

حارس بالشفرة

اخترع عالم في تايلند روبوت يقوم بمهمة حارس أمني يمكنه إطلاق النار بشكل آلي حين تصله التعليمات شخصياً أو بالإنترنت. يقول مخترع الروبوت (بيتيكات سوراكا) أن إطلاق النار يتم باستخدام كلمة شيفرة خاصة... لأنه لا يجب أن يترك قرار إطلاق النار للروبوت دون أمر إنساني.

الساعة الخلوية

تقدم شركة سامسونغ للاتصالات الخلوية آخر تصاميمها في مجال الهواتف الخلوية (الساعة الخلوية SPH-S100) ويتم التحكم بها بواسطة الذاكرة الصوتية والتي تتلقى الأوامر بعد أن يقوم حاملها بتخزين الصوت في الذاكرة. وتعتبر هذه الساعة من أصغر الهواتف الخلوية في العالم.

غالبية مستخدمي الكمبيوتر في مصر من الرجال

كشفت دراسة علمية حديثة أن نسبة مستخدمي شبكة الإنترنت في مصر تبلغ ٥٦,٣٥% من الذكور و ٤٣,٦٥% من الإناث. وقال الباحث يحيى جاد الله صاحب الرسالة التي حصل بها على درجة الدكتوراه في كلية الآداب جامعة القاهرة، أن ساعات الإفادة من الإنترنت من جانب المصريين تتراوح بين نصف ساعة وأكثر من ٥١ ساعة أسبوعياً، وأن ٩٢% من المستخدمين حاصلون على شهادات جامعية و ٨% غير مؤهلين حيث أنهم لا يزالون بالدراسة.

وكشفت الدراسة أن ١٠% من المستخدمين للإنترنت حاصلون على الدبلوم العالي بعد المرحلة الجامعية

الأولى و ٢٣% حاصلون على الماجستير و ١٩,٦% حاصلون على الدكتوراه. وحول اللغات التي يجيدها المصريون المستخدمون للإنترنت. قال الباحث أن الإنجليزية تأتي في المقدمة والفرنسية الثانية والأسبانية الثالثة تليها اليابانية والصينية والإيطالية والهندية والعبرية والفارسية والأوردية. وقال الباحث أن مجتمع الإنترنت في مصر ما زال في طور النشأة وينمو ببطء على مستوى المتعهدين أو المستفيدين مقارنة مع المجتمعات المماثلة في دول أخرى.

(كريستال) لخن المعلومات

عرضت شركة ألمانية تدعى (أوبتوسور) ابتكارها الجديد في عالم المعلوماتية وخاصة في حفظ المعلومات وتخزينها مربعاً من الكريستال بحجم لا يتعدى ٢ سم والذي يمكن أن يخزن معلومات بسعة (تيرا بايت) أي ما يعادل سعة عشرة ملايين قرص مدمج CD وذلك بواسطة معالج ليزر خاص.

فوائد غذائية

حليب الصويا

غني بمركبات (الأيزوفلافون). وهي هرمونات نباتية تأثيرها يماثل بشكل ضعيف هرمون (الأستروجين). إن مستويات (الأستروجين) المرتفعة في الجسم تؤدي إلى أنواع السرطان الأنثوي، ويمكنها تحويل الخلايا السليمة إلى خلايا سرطانية. وينافس (الأيزوفلافون) الأستروجين داخل الثدي على مواضع التضخم، الأمر الذي - على الأرجح - يخفض نسبة خطر الإصابة. وينصح الأطباء بتناول كأسين من حليب الصويا المقوى بالكالسيوم يومياً (وهذا يوفر ٥٠ مغ من الأيزوفلافون) أو يمكن الاستعاضة عن ذلك بحبوب الصويا المقوية.

البندورة

توفر هذه الخضار أغنى مصدر لمادة (لايكوبين) المضادة للأكسدة ولها ذات الفعالية مثل (بيتاكاروتين) التي تبين من بعض الأبحاث أنها تقي من السرطان. وتقول الدراسات أن الأشخاص الذين يتناولون البندورة بانتظام واستمرار يخفضون احتمال خطر إصابتهم بالسرطان على كافة أنواعه بنسبة ٤٠ أو أكثر. وتدل البراهين على أن فعاليتها أكبر ضد سرطانات البورسات والرئة والمعدة والبنكرياس والقولون والمريء والفم والرحم والثدي والأمعاء الغليظة. ينصح بتناول ما يقارب ربع كيلو بندورة يومياً. ويمكن الاستعاضة عنها أحياناً بالبطيخ الأحمر أو الجوافة أو (الكريب فروت) الزهري.

فوائد العنب

توصل العلماء إلى عزل مادة في بزر العنب تساعد في تحسين مستوى مادة البروانتوسياندين في الدم، وأثبتت هذه المادة قدرتها على تخفيض احتمالات التضخم وحتى الوقاية من أمراض القلب. تعتبر هذه المادة

بمثابة مضاد للتأكسد يساعد الجسم على تحمل ضغط الحياة اليومية ومكافحة أسباب الإصابة بأمراض القلب، كالتدخين والمواد الكيميائية المنتشرة في البيئة.

يمكن أن تلعب بزررة العنب دوراً مهماً في مواجهة أمراض القلب والأوعية الدموية. وكذلك اختلالات النظر الناتجة عن مرض السكري أو عن الانخفاض المركزي في الشبكية. يحاول العديد من الباحثين أيضاً استخدام بزر العنب في تخفيض أوجاع الصدر والمفاصل والساقين أثناء فترة الحيض. وبفضل خواصها المضادة للتورم يمكن أن تفيد بزررة العنب في مكافحة السرطان للوقاية من الجلطة الدموية.

عجائب صحيّة لـ(الكرّم)!

أجرى العلماء على جذور نبتة الكركم (من التوابل) أبحاثاً وتحاليل لسنوات طويلة وأثارت النتائج التي ظهرت مؤخراً الحماس الشديد حول فوائدها الصحية.

فقد تبين أن الزيت الطيار (الكرمي) الذي تحتويه جذور هذه النبتة هو أكثر مضادات الأكسدة المعروفة للأسنان فعالية. ويمكن لهذه النبتة أن تعدل تأثير المأكولات التي تحتوي على نسبة عالية من الدهون. كما تبين أن (الكرمي) قادر على تخفيض نسبة الكوليسترول إلى أدنى المستويات والتقليل من مخاطر تخثر الدم. وهي بذلك تعتبر علاجاً ذا خواص مضادة للأكسدة وبقي من أمراض القلب.

وأظهرت الدراسات أيضاً أن (الكرم) يملك أيضاً القدرة على الحد من تسمم الكبد على الرغم من وجود علاجات سابقة لحماية وسلامة الكبد ويحسن من أداء الحرارة والكبد ويساعد الجهاز الهضمي بصورة عامة، لأن (الكرم) يقضي على العديد من بكتيريا الأمعاء الضارة ويحفف الغازات ويساعد على إفراز مختلف أنواع أنزيمات الهضم.

ومن أفضل خواص (الكرم)، فعاليته في مكافحة الالتهابات. وتقول الدراسة، أنه يشبه في جوانب كثيرة فعالية أدوية (الكورتيزون) و(الفينيل بيوتازون) في تخفيف الالتهابات. ويمكن تناول (الكرم) طبيعياً بتتبيل الطعام به أو ابتلاع قوارير تحتوي على خلاصته.

٥ نصائح غذائية للمرأة لعام ٢٠٠١

- ١ - تناولتي تفاحتين يومياً، فهي مفيدة لضغط الدم والألياف والأسنان.
- ٢ - تناولتي ولو حبة واحدة من أي نوع آخر من الفاكهة كل يوم لتعزيز فيتامين C.
- ٣ - تناولتي حصتين على الأقل من الخضار المتنوعة كل يوم للحماية من السرطان.
- ٤ - تناولتي قدرأ من اللبن يومياً لزيادة الكالسيوم والبكتيريا الطبيعية الضرورية.
- ٥ - تناولتي رقائق الحبوب قدر ما تستطيعين للتزود بفيتامين B والمعادن الأساسية.

إحصاءات وأرقام

أغنى أغنياء العالم في العام ٢٠٠١

هم على التوالي:

- اس روبسون والتون (ثروة عائلية): ٤٥,٣ مليار استرليني (الولايات المتحدة - تجارة المفرق).
- بيل غيتس: ٣٧,٥ مليار استرليني (الولايات المتحدة - برامجيات).
- لاري اليسون: ٢٩ مليار استرليني (الولايات المتحدة - كمبيوتر).
- كنيث طومسون: ١٧,٤ مليار استرليني (كندا - إعلام ونفط).
- وارن بافيت: ١٧,٣ مليار استرليني (الولايات المتحدة - استثمارات).
- بول آلن: ١٧ مليار استرليني (الولايات المتحدة - برامجيات).
- ستيف بالمر: ١٤,٣ مليار استرليني (الولايات المتحدة - برامجيات).
- فورست مارس جونيور (ثروة عائلية): ١٤ مليار استرليني (الولايات المتحدة - حلويات).
- كارل ويتو البرخت: ١٣,٣ مليار استرليني (ألمانيا - سوبر ماركات).
- باربارا كوكس انطوني وآن كوكس تشامبر: ١٣,٣ مليار (الولايات المتحدة - إعلام).

عمر الأم ومخاطر ولادة طفل مغولي

عمر الأم	خطر ولادة طفل مغولي	خطر ولادة طفل مصاب بخلل في الصبغات
٢٠ سنة	١ في ٥٤٦	١ في ١٦٦٧
٢٥ سنة	١ في ٤٧٦	١ في ١٢٥٠
٣٠ سنة	١ في ٣٨٦	١ في ٩٥٢
٣٥ سنة	١ في ١٩٢	١ في ٣٧٦
٤٠ سنة	١ في ٦٦	١ في ١٠٦
٤٥ سنة	١ في ٢١	١ في ٣٠
٤٨ سنة	١ في ١٠	١ في ١٤

غرائب

طفل الثالثة مصدر رعب!!؟

أعلنت إدارة مدرسة ميتاي بولوكي في ولاية فلوريدا بأمريكا أنها قامت بطرد طفل في الثالثة من عمره ثلاثة أيام لأنه هدد سائق الحافلة المدرسية بالقتل. وقال مدير المدرسة دنيس تايلور، الذي يبدو أنه أخذ تهديدات الطفل للسائق على محمل الجد: (لا نريد أن يبكي الأطفال أو ينتابهم الخوف في حال جدد الطفل تهديده بالقتل للسائق. ونحن نريد أن يخضع الطفل فوراً لمعالجة نفسية). وأضاف أنه سيتكلم إلى سائق الحافلة ليعرف (ما إذا

كان يشعر فعلاً بأنه مهّد). ولم تكشف الإدارة اسم الطفل بسبب صغر سنه.

ناد للأغبياء فقط!

تحت شعار (الحماقّة ليست قدراً، إنما هي سبب وجودي) افتتح مؤخراً ناد للأغبياء في مدينة نيم الفرنسية. وانتسب إليه على الفور ثمانون عضواً، كانوا تقدموا بطلب من السلطات الفرنسية لتسمح لهم بإقامته قبل عام تقريباً، ولم يحصلوا على إذن بالموافقة إلا أخيراً.

السيارة أولاً!

قالت شركة تأمين أمريكية أن حوالي نصف الرجال الأمريكيين يفضلون سياراتهم على زوجاتهم وأطفالهم وأن ١٧% منهم يشترون هدايا لسيارتهم في عيد شفيح الحب: فالانتاين.